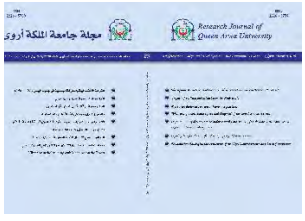

مجلة جامعة الملكة أروى العلمية المحكمة

QUEEN ARWA UNIVERSITY JOURNAL

مفهوم الدولة عند ابن المقفع

(قراءة في رسالتي: الصحابة ويتيمة السلطان)

د. عبدالإله حسين الكبسي

أستاذ علم السياسة والقانون الدستوري – كلية الحقوق جامعة تعز

ISSN: 2226-5759 ISSN Online: 2959-3050 DOI:10.58963/qausrj.v1i7.36

Website: qau.edu.ye

مقدمة

ظهر ابن المقفع[1] في القرن الثاني الهجري، وقد اتصل بالحكام والأمراء وشهد أحداث سقوط حكم الأمويين واعتلاء العباسيين الحكم.

وتأتي أهمية ما سنتناوله في إطار البحث بخصوص إشكالية نظرية الدولة في السياق العربي والإسلامي[2].

- ويعتبر ابن المقفع جزء من كل- ، وفي ضوء مضمون الرسالتين الأولى:(يتمية السلطان) [3] وهي الصياغة التصويرية لرباعية الرموز: العدل، العقل، الدولة والعافية.

، والثانية:(الصحابة)[4]: كعلاقة بـِ صاحب السلطان وكمفهوم لمعاوني الحاكم وحسب مفهوم منهاج ثقافي جغرافي إسلامي تاريخي هو ديار المسلمين.

وباستخدام منهجية تحليل النصوص وأفكارها في الرسالتين فقد حدد الباحث إشكاليته بالأسئلة التالية:-

1- ما هو مفهوم الدولة المقفعية في الرسالتين؟
2- ما علاقة الرسالة الصحابة برسالة يتمية السلطان؟
3- ما هي طبيعة علاقة الكاتب مع مجتمعه ومع حكامه؟

وعليه فقد أجاب الباحث على الإشكالية بالتقسيم الآتي:-

المبحث الأول: ماهية علاقة صاحب السلطان بالصحابة وبمنهاج ديار المسلمين.

المطلب الأول: مفهوم طبيعة علاقة صاحب السلطان بـِ الصحابة في قيام السلطان وانهياره.

- الفقرة الأولى: مركزية مصطلح صاحب السلطان ومسئولياته بتعددية تبعية رباعية:- الملك ، الخليفة ، الإمام وأمير المؤمنين.

أولاً: معنى صاحب السلطان: الملك.

ثانياً: معنى صاحب السلطان: الخلفية: الإمام وأمير المؤمنين.

ثالثاً: مسئوليات الحاكم ومعاصيه.

- الفقرة الثانية: دور الصحابة وأهداف علاقتهم بـِ: صاحب السلطان.

أولاً: أهداف علاقة اتصال الصحابة بـِ: صاحب السلطان.

ثانياً: قيام السلطان: علاقة الصحابة بـِ: صاحب السلطان.

ثالثاً: إشكالية السلطان: الفساد والانهيار.

المطلب الثاني: فساد السلطان وسياسات إصلاحه بمنهاج ديار المسلمين.

- الفقرة الأولى: تحديد مظاهر فساد وظائف سلطان ديار المسلمين.

أولاً: فساد صحابة صاحب السلطان:

أ-فساد المعاونين والأصحاب.

ب- الفساد المالي.

ثانياً: فساد القضاة واختلاف الأحكام.

ثالثاً: فساد الأخلاق والآداب لدى العامة.

- الفقرة الثانية: سياسات إصلاح سلطان ديار المسلمين.

أولاً: ضرورة حسن اختيار المعاونين والأصحاب.

ثانياً: إعادة تعريف وظيفتي الخراج والجند.

ثالثاً: توحيد القضاء والأحكام وتخليق الحياة الاجتماعية لديار المسلمين.

أ-توحيد القضاء والأحكام.

ب- تخليق الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: مفهوم الدولة بمعاني ودلالات الرموز المجازية في رباعية الأسس الاجتماعية: العقل، العدل، الدولة والعافية.

المطلب الأول: اختلاف دلالات ومعاني الصور الرمزية لرباعية: العقل، الدولة، العافية والعدل.

- الفقرة الأولى: اختلاف رموز وصور

رباعية: العقل، الدولة، العافية، العدل.

- الفقرة الثانية: دلالات ومعاني الرموز المجازية

في رباعية: العقل، الدولة، العافية، العدل.

المطلب الثاني: حكم العدل بين اختلاف ثلاثية:

العقل، الدولة والعافية.

- الفقرة الأولى: أفضلية العقل على الدولة والعافية.
- الفقرة الثانية: عدالة اجتماع عقل الدولة وعافيتها.

المبحـث الأول:
ماهية علاقة صاحب السلطان بالصحابة وبمنهاج ديار المسلمين.

يأتي مفهوم السلطان. وأصحابها كعلاقة الصحابة بـِ صاحب السلطان.

وهذه الصحابة لا يقصد بها ابن المقفع (صحابة الرسول) وإنما الذين يجسدون سلطة السلطان.

فالمركز والقطب في هذا السلطان هو إمام السلطان – الخليفة، الملك والأمير- ، وتأتي تراتبية المناصب، ووظائف الصحابة (الوزراء – الكتاب – قادة الجيوش – الحاجب ...)، ويعتبر ازدهار السلطان وقيامه واستمراره هو بوجود هؤلاء الأعوان وعلاقتهم بـِ صاحب السلطان (الإمام) وكذلك فإن فساد وانهيار الحكم يأتي من فساد هؤلاء الأعوان، وقد تجسد هذا الفساد في سلطان الديار الإسلامية سواء في الولاة أو الجيوش أو القضاة وامتد ليشمل فساد الناس وبما يسميه ابن المقفع بتعريف زمانه بأنه شر الأزمان الذي اجتمع فيه فساد الولي والرعية لذا تأتي رسالة ابن المقفع لرسم سياسات إصلاحية لسلطان ديار المسلمين وإصلاح المجتمع الناقص والغير مكتمل مع البحث عن إصلاح الدولة.

المطلب الأول: مفهـوم طبيعة علاقة صاحب السلطان بـِ الصحابة في قيام السلطان وانهياره:

تعتبر القضية الجوهرية لابن المقفع في رسالة الصحابة هي تحديد علاقة صاحب السلطان بالصحابة (المعاونين) وفي معرفة طبيعة علاقة الصاحب بالصحابة كعلاقة أمر وطاعة، وحكم يجسد مفهوم السلطان ويحدد درجة السلطان بدءاً بالمركز:- السلطان الأول الذي يعرفه بأنه:- الإمام وأمير المؤمنين (الخليفة)، وكذلك بأنه الملك، وتتحدد مسئولياته وكذلك تظهر أهداف وصور الصحابة في علاقتهم بـِ صاحب السلطان ودورهم في قيام السلطان وانهياره.

وعليه أتناول الإجابة عن السؤالين التاليين:

1. من هو صاحب السلطان وما هي مسئولياته ومعاصيه؟
2. ما هي أدوار الصحابة وأهدافهم في علاقتهم بـِ صاحب السلطان؟

المطلب الأول: مفهوم طبيعة علاقة الصحابة بـِ صاحب السلطان في قيام السلطان وانهياره.

يفيد مفهوم صاحب السلطان بأنه: الملك وكذلك بأنه الخليفة: الإمام وأمير المؤمنين الذي يمتلك القدرة والقوة والغلبة والملك وله الإقرار بالطاعة فيما لا يطاع فيه غيره.

انطلاقاً من مسئولياته وأنه يعتبر قطب الرحى ومركز السلطان والذي يقوم ويزدهر بقيام علاقة الأمر والطاعة بالصحابة والمعاونين الذين يجسدون مراتب أدنى في السلطان لقيامهم بوظائف وأدوار في علاقتهم بـِ صاحب السلطان، وكذلك فإن فساد السلطان يأتي من نفس معيار قيامها وازدهارها وهو بفساد الأعوان والصحابة.

- **الفقرة الأولى: مركزية مصطلح صاحب السلطان ومسئولياته وتعددية ألقابه:- الملك، الخليفة، الإمام، الإمام وأمير المؤمنين .**

أولاً: معنى صاحب السلطان: الملك.

يعرف ابن المقفع (صاحب السلطان) [5] بمصطلح الملك الذي يعني: (النظام بين الدولة والرعية والجيش، وهو الزينة يوم الزينة، وهو المفزع والملجاء يوم الخوف من العدو) وأن أهم واجبات الملك أن "يحفظ ملكه، ويثبت سلطانه"[6]

فما معنى السلطان المرتبط بمفهوم الملك؟

يفيد السلطان معنى: القدرة والقوة والغلبة والملك.

وسلطن سلطنة. وسلطنة فتسلطن جعله سلطاناً، وأصل السلطنة من القوة. والسلطان يعني الحجة والبرهان.[7]

وهذا السلطان إنما هو على أجساد الرعية (وأنه لا سلطان للملوك على القلوب).[8]

كما أن مفهوم السلطان في صيرورة تطوره (منذ القرن الرابع الهجري يشير إلى أميرٌ قوي أو حاكم مستقل بأرضه، كما كان له منذ القرون الأولى للإسلام معنى السلطة الحاكمة[9].

وهنا في هذا السياق يؤكد على وجوب السلطان عقلاً، ولكن هل يؤكد على وجوبه شرعاً؟

ثانياً: معنى صاحب السلطان: الخليفة: الإمام وأمير المؤمنين:

ننطلق من المعطيات التالية لتحديد معاني وتعريفات صاحب السلطان:-

أ-يأتي معنى الخليفة من حقيقة معنى الخلافة: وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذا أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة.

فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به وتسمى خلافة وإمامة والقائم به تسميته إماماً فتشبيهاً بإمام الصلاة في إتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى؛ وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله[10].

وهنا يحدد طاعة سلطان صاحب السلطان "بأنه لا يطاع الإمام في معصية الله، فإن ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لأحد عليها سلطاناً"[11].

وبمعنى أن السلطان الإلهي المتمثل في (عزائم الفرائض والحدود والشرع) الإلهي تحدد وتقيد سلطان صاحب السلطان وأن لا يطاع الإمام في معصية الله وأما إقرار ابن المقفع بالطاعة "فيما لا يُطاع فيه غيره، فإن ذلك في الرأي والتدبير والأمر الذي جعل الله أزمته وعراه بأيدي الأئمة، ليس لأحد فيه أمر ولا طاعة.

وهنا يعتبر السلطان من الناحية السياسية مفتوح ومطلق ولم يتقيد إلا بقيد سلطان التشريع الإلهي وفرائضه وحدوده. فالسلطان من الناحية التشريعية مقيد ومن الناحية السياسية مطلق وغير محدد ويفيد عمل الحكام في تدبير الشأن العام.

وفي هذا السياق أضع السؤال التالي: ما هي مسئوليات صاحب السلطان (الإمام، الخليفة ، أمير المؤمنين ..).

ثالثاً: مسئوليات الحاكم ومعاصيه:

حدد الكاتب مسئوليات الحاكم أهمها:

1- إقامة الدين والأحكام والحدود.
2- الجهاد ومحاربة العدو ومهادنته.
3- جمع الأموال وقسمتها.
4- تسيير الحياة وتنظيم شئونها في كل أمور الرأي والتدبير والأمر الذي جعل الله أزمته وعراة بأيدي الأئمة ليس لأحد فيه أمر ولا طاعة[12].

كما أن هناك معاصي يرتكبها الحكام في علاقتهم بالعامة والخواص –الأصحاب- مثل أن يظلمهم في الأموال والأعراض وإفساد شروط الخيرية في تولي أعوانه وظلمه في تقسيم الأموال.

- الفقرة الثانية: دور الصحابة وأهداف علاقتهم مع صاحب السلطان:

أولاً: أهداف علاقة اتصال الصحابة بـ صاحب السلطان:

هناك صورتين تجد الهدف من اتصال الصحابة كمعاونين للحكام كما يلي:

أ-الدعوة إلى المحافظة على النفس والاتصال والتعاون حتى مع الظلمة حيث يصف ابن لمقفع بعض الناس الذين يفرون من التعاون مع الولاة الظلمة (اختيار المعصية عن سوء الموضع).

بل أن الذي لا يتعاون ويتصل بعلاقة مع الحاكم بأنه (يرتكب معصية وإثماً) لذا فقد جاء منهجه بضرورة معاونة الحاكم والاتصال به حتى ولو كان ظالماً بهدف التأثير عليه للحد من طغيانه وهذا أولاً وبعد الاتصال به وفي حالة عدم القدرة على ردّعه عن ظلمه ينصح بقوله (واعلم أنه لا ينبغي لك وإن كان الوالي غير مرضي السيرة إذا علقت حبالك بحباله إلا المحافظة عليه إلى أن تجد إلى الفراق الجميل سبيلاً[13].

ب- لإعانته على قيام السلطان:- بكل ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأحسن وسيلة.

ويعتبر الصحابة (الأعوان)- كمؤسسة وسطية بين السلطان والرعية- هم الذين إذا (أهتمت خواصهم بأمور عوامهم وأقبلوا عليهم بجد ونعم ومثابرة وقوة، جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم وسبباً لأهل الصلاح في خواصهم)[14].

ويأتي تأسيس السلطان من أسفل المجتمع حيث يأتي الإجتماع للخواص بالعامة من (احتياج اجتماعي يتمثل في ضعف الناس وجهلهم واحتياجهم إلى الرأي والعلم من قبل الخواص من أهل الدين والعقول)[15].

وهؤلاء المعاونين يرغبون في (حسن المعاونة والمؤازرة والسعي في صلاح عامتهم طمعنا لهم في ذلك يا أمير المؤمنين، وطمعنا فيه لعامتهم، ورجونا أن لا يعمل بهذا الأمر أحد إلا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه)[16]. وهذه الإرادة في قيام علاقة المعاونين بالسلطان هي أساس قيام الحكم وازدهاره.

ثانياً: قيام السلطان كعلاقة الصحابة بـ: صاحب السلطان.

إن معيار قيام الدولة (السلطان) وازدهاره هو تجسيد ولاء علاقة الصحابة بـِ صاحب السلطان وهذا الأخير هو الذي يختار صحابته من (الوزراء – الكتاب – قادة الجيوش – الولاة – الحاجب....).

وهذه العلاقة تبدأ - من أعلى - حاجة (الخواص إلى الإمام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة إلى خواصهم وأعظم من ذلك فبالإمام يصلح الله أمرهم، ويكبت أهل الطعن عليهم ويجمع رأيهم وكلمتهم، ويبين لهم عند العامة منزلتهم، ويجعل لهم الحجة والأيد في المقال على من نكب عن سبيل حقهم. فلما رأينا هذه الأمور ينظم بعضها ببعض وعرفنا من أمر أمير المؤمنين ما بمثله جمع الله خواص المسلمين على الرغبة في حسن المعاونة والمؤازرة والسعي في صلاح عامتهم) [17].

فالسلطان لا يستطاع إلا بالوزراء والأعوان.

وعليه فإن المعيار المحدد لبقاء الحكم والسلطان هو بوجود وصلاح المتعاونين والأصحاب وبفكرة محورية في رسالة الصحابة تعتبر قضية الأعوان "الصحابة" المكررة كمفردة أكثر من ثمان مرات في دلالات معانيها تؤكد أن معيار بقاء الحكم والسلطان هو بوجود هؤلاء المتعاونين والأصحاب وأن (الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر ممدودة من الأنهار).

وكذلك فإن انهيار السلطان هو بفساد الأصحاب والأعوان.

ثالثاً: إشكالية فساد السلطان:

لقد صاغ ابن المقفع ما يشبه القانون التاريخي حسب المنهج الاستقرائي وجسد إشكالية الحكم الإسلامي وإشكالية السلطان وفساده في عصره وزمانه وحدده بأنه بفساد الأعوان الصحابة – الخاصة – في علاقتهم بـِ صاحب السلطان، وهذا من جهة ومن جهة أخرى بتدهور وفساد علاقة الأعوان بالرعية (العامة).

كما أنه حدد مشكلة الفساد للدولة والمجتمع عندما عرف - ابن المقفع- أن (شر الأزمان ما اجتمع فيه فساد الوالي والرعية) [18].

وأن فساد الوالي في هذا الزمان كان قبل خلافة أمير المؤمنين الوزراء والكتاب من قد عمل عملاً قبيحاً مفرطاً للقبح مفسد للحسب والآداب والسياسة داعياً للأشرار طارداً للأخيار حتى صارت صحبة الخليفة أمراً سخيفاً فطمع فيه الأوغاد.[19]

وأما فساد الرعية فهو (حال رعية متزرة – مذنبة – ليس من أمرها الصنف في نفسها)[20].

وفساد الرعية كان بسبب (أعوان يبتلى بهم الولاة ليسوا على الخير بأعوان)[21].

وأن فساد الأعوان كان بسبب

(حال وال لم يهمه الإصلاح، أو أهمه ذلك ولم يثق فيه بفضل رأي، أو كان ذا رأي وليس مع رأيه صول بصرامة أو حزم أو كان استئثاراً منه على الناس بنشب ، أو قلة تقدم لما يجمع أو يقسم) [22].

وهذا الفساد للسلطان قد تجسد ضرورة في كل ديار المسلمين حتى لم يدرك (الناس نحن ولا آباؤنا إلا وهم يرون فيها خلالاً لا تقطع الرأي وتمسك الأفواة)[23].

ولسبب وجبة وهو أن (ولاة الشر يجمعون مع جهلهم العجب والاستغناء، كما كانوا:- يكتفون بالدعّة ، ويرضون بدحوض الحجة وانقطاع العذر في الامتناع، أن يجتري عليهم أحد برأي أو خير مع تسلط الديان)[24].

وبمعنى آخر فإن الفساد يبدأ من أعلى السلطان ويتجه إلى أسفل المجتمع مروراً بفساد الأعوان والصحابة كما في الشكل التالي:-

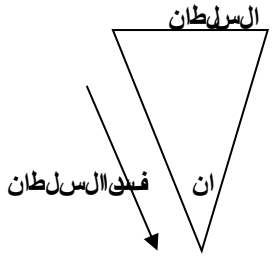

المطلب الثاني: فساد السلطان وسياسات إصلاحه بمنهاج ديار المسلمين:

يعتبر توصيف ابن المقفع أن شر الأزمان ما اجتمع فيه فساد الحاكم والمحكوم وأن فساد السلطان الذي يشمل سيادته كل سكان ديار المسلمين[125]. ويتضمن الولاة الأشرار وأعوانهم وفساد الجيوش وتدخلهم في الشؤون المالية واختلاف الأحكام وفساد وظيفة الخراج التي لم تعد تؤطرها مهمة التدوين في الدواوين والمراقبة وإثبات الأصول. وإن نتيجة ظهور الفساد وشيوعه في الناس وحياتهم فقد جسدت رسالة الصحابة في رسم سياسات إعادة تعريف سلطان ديار المسلمين واهتمام ابن المقفع ودوره في قيام وازدهار السلطان العادل الذي يقوم بمهمة سعادة الناس وإعادة تخليق المجتمع بما يضمن صلاح الناس وعمارة الأرض.

وفي هذا السياق يمكن أن أضع السؤالين التاليين وهما:-

1-**ما هي مظاهر فساد وظائف سلطان ديار المسلمين؟.**

2- **ما هي سياسات إصلاح سلطان ديار المسلمين؟.**

وسأجيب على ذلك بالفقرتين التاليتين وهما:-

الفقرة الأولى:- (تحديد مظاهر فساد وظائف سلطان ديار المسلمين).

الفقرة الثانية:- (سياسات إصلاح سلطان ديار المسلمين).

- الفقرة الأولى: تحديد مظاهر فساد وظائف سلطان ديار المسلمين:

لقد تجلت مظاهر الفساد لوظائف سلطان ديار المسلمين بفساد الصحابة والمعاونين والأصحاب وكذلك بالفساد المالي وكذلك بفساد القضاة واختلاف الأحكام وانتشار فساد عامة الناس ليشمل سكان ديار المسلمين.

أولاً: فساد صحابة السلطان:

يمكن أن ننمط مظاهر فساد صحابة صاحب السلطان كما يلي:-

أ-فساد المعوانين وتولي، ولاة الشر وأعوانهم الذين حكموا العراق وكانوا شر الولاة[26].

وكذلك ما كان من الوزراء والكتاب قبل خلافة أمير المؤمنين عملاً قبيحاً مفرط القبح، مفسداً للحسب والآداب والسياسة، داعياً للأشرار، طارداً للأخيار، فصارت صحبة الخليفة أمراً سخيفاً، فطمع فيه الأوغاد وتزهد إليه من كان يرغب فيما دونه[27].

وكذلك مشكلة خطاب القادة للجيوش الذين يزعمون بأن أمير المؤمنين يأمر بما يخالف العقل والدين ويتسببون في إدخال الريبة والشك بأتباعهم الناس[28].

وكذلك فإن من أعاجيب ومظالم الصحابة أنها صارت إلى من لا ينتهي إلى أدب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في أهل مصرة قد غبر عامّة دهرة صانعاً يعمل بيده، ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء إلا أنه مكنه من الأمر صاغ – مال- فانتهى إلى حيث أحب، فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ، ويجري عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم...)[29].

وأنهم طمعوا بالصحبة وليس في صفاتهم (رعاية رحم ولا فقه في دين ولا بلاء في مجاهدة عدو معروفة ... ولا حاجة إليه في شيء من الأشياء ولا عدة يستعد بها وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة إلا أنه خدم كاتباً أو حاجباً فأخبره أن الدين لا يقوم إلا به حتى كتب كيف شاء، ودخل حيث شاء[30].

ب-الفساد المالي الذي ظهر بممارسات تمثلت في:-

A-ظهور حالة استئثار من الولاة وأعوانهم على الناس بنشب أو قلة تقدم لما يجمع أو يقسم.[31]

B-فساد وظيفة الجيوش وانشغالهم بمسائل الخراج وفساد قيم الكرامة والعزة لديهم.

C-فساد عمال الخراج في كل القرى والنواحي.

ثانياً: فساد القضاة واختلاف الأحكام:

وهذا الاختلاف عند الفقهاء هو نتيجة أخذ الفقهاء والحكام بالمأثورات عن السلف واختلاف التأويل وإجراء منهج القياس وانتشار أخطاء في أل المقايسة.

لذا فقد ظهر اختلاف الأحكام المتناقضة في البصرة والكوفة وغيرهما من الأمصار والنواحي[32].

بل ومع ظهور اختلاف الأحكام فقد زاد أعجاب أهل الحجاز وأهل العراق بما في أيديهم والاستخفاف بمن سواهم[33].

ثالثاً: فساد الأخلاق والآداب لدى العامة:-

لقد ظهر في زمان ابن المقفع أن (بالناس من الاستخراج – الفساد والعيب والفساد ما قد علم أمير المؤمنين.

وبهم الحاجة إلى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو أشد من حاجتهم إلى أقواتهم التي يعيشون بها)[34].

- الفقرة الثانية: سياسات إصلاح وظائف السلطان وسيادته على ديار المسلمين:-

أولاً: ضرورة حسن اختيار الصحابة والمعاونين بمنهاج ديار المسلمين.

تعتبر من أولى اهتمام أمير المؤمنين أن يحسن اختياره للولاة وبما "يصلح رعيته في سلطانه". وبمنهاج ديار المسلمين يحدد أن المقفع أن يختار الحاكم معاونيه وأصحابه من أهل بيته أو ممن سواهم على جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك"[35].

كما أنه يحدد مميزات أهل العراق كعقلية وذهنية ومرجعية لكل سكان ديار المسلمين والاتصاف عندما وصف أهلها بأنهم أهلا في (الفقه والعفاف والألباب والألسنة، على جميع من سواهم من أهل القبيلة)[36].

وكذلك يعتبر ابن المقفع أهل خرسان وبعدهم أهل المصرين (البصرة والكوفة) أقرب الناس إلى أن يكونوا شيعته وحقيبته – خاصته)[37].

وهنا تظهر محاولة ابن المقفع الاعتراف بأهل خرسان "بعد كثرة الموالي في الأمصار الجديدة وانضوائهم تحت قيادتهم الدينية السياسية"[38].

فمنذ ثورة ابن الأشعث سنة 82هـ - سعى الخرسانيون إلى - تحقيق مكسب جزئي يتلخص في الاعتراف بهم ممثلين للمعرفة الإسلامية الجديدة، ولرؤية الإسلام الحق في تسيير شئون الدين والمجتمع مقابل تنازلهم عن الشئون السياسية البحتة للسلطة القائمة[39] التي ارتكزت على.

الاعتراف بشرعية قريش لأمير المؤمنين والتماس إثبات "فضل أهل بيت أمير المؤمنين على أهل كل بيت وغير ذلك مما يحتاج الناس إلى ذكره ... فإن الحجة ثابتة والأمر واضح بحمد الله ونعمته[40].

وذكر أمير المؤمنين أمر أهل خراسان "فإنهم جند لم يدرك مثلهم في الإسلام، وفيهم صفة بها يتم فضلهم إن شاء الله أما هم فأهل بصر بالطاعة ، وفضل عند الناس وعفاف نفوس وفروج، وكف عن الفساد ، وذل للولاة، فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم[41].

وهذا من جهة بناء علاقة الولاء بين السلطان وأهل خرسان ومن جهة أخرى رسم وتعريف علاقة الحكم العباسي بعداوة أهل الشام عندما صاغ ابن المقفع شبه قانون بأن الملك لم يخرج من قوم إلا بقيت فيهم بقية.

للعودة إليه وأن الخوف تجاه واقع حرمانهم عن المنابر والمجالس هو نتيجة لسياساتهم السابقة تجاه أهل العراق.

والسياسة أن تكون علاقة أمير المؤمنين معهم لا يحكمها مبدأ العداوة ولا مبدأ المودة. بل أن يتم اختيار خاصة صالحة تعمل على إدخال الناس فيما دخلوا فيه كنخبة تتولى.

العدل على اقتصار فيئهم على ما خرج زائد من كور الشام وما خرج من مصر فضلاً من حقوق أهل المدينة ومكة.

وكذلك جعل ديوان مقاتلتهم والمساواة بين أجناد الشام حتى لا يضيع أحد من المسلمين[42].

ثانياً: إعادة تعريف وظيفتي الخراج والجند.

وأما ما يخص المعالجات لإصلاح وظيفة الخراج وإعادة تعريف وظيفة الجند فقد جاءت صياغة ابن المقفع كما يلي:

أ- معيار السلطة مع المسئولية لإصلاح عمال الخراج.

- إصلاح عمال الخراج بتحديد السلطة والمسئولية لمن يمارسها في كل القرى والنواحي وأعمال رأي أمير المؤمنين على الرساتيق والقرى والأرضين وظائف معلومة، وتدردين الدواين بذلك، واثبات الأصول حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها وضمنها.

ب- تحديد مهام ووظائف وقيم الجند .

- عندما ظهر انحراف وظيفة الجند بانشغالهم بمسائل الخراج والمال وما تسببه هذه الوظيفة من اكتساب واستبطان صفات الذلة والهوان ونزع منزلة الكرامة في المقاتل[43].

فإن الحل في أبعاد الجند عن أعمال الخراج ومسائل المال.

لأن العقلية الجمعية عند الناس أنهم "يتحامون ذلك منهم وينحونه منهم"[44].

وكذلك لابد من:

ج- كتابة أمان معروف وإعادة تعريف مهمات ووظائف الجند وتحديدها وإشهادها عند الجنود والناس.

وكذلك:

د- توقيت وتحديد معيار تقسيم أرزاق الجند كل (3-4) أشهر وإقامة ديوانهم وتحديد أسمائهم وجعل أرزاق الجند من الخراج (عيناً ونقداً)[45].

وكذلك:

هـ-الإحاطة بأخبارهم وأحوالهم وتعيين الثقات لهذه المهمة سواءً في خرسان أو الأطراف.

لكي يتسنى المفاضلة بين القادة عند معرفة المجهولين.

و- تنشئتهم على القصد والتواضع واجتناب حياة الترف وتعهد أدبهم وتعليمهم الكتاب والتفقه وتنشئتهم على الأمانة والعصمة[46].

ثالثاً: مأسسة ديار المسلمين بمركزية أمير المؤمنين في توحيد القضاء والإحكام وتخليق الحياة الاجتماعية:

سنتناول في هذه الفقرة ما يلي:-

أ- توحيد القضاء والأحكام:

نظراً لخطورة واختلاف وتعددية الأحكام القضائية في ديار المسلمين ونواحيه فقد حذر ابن المقفع لهذه المشكلة وحدد طريقة معالجتها بسياسة أن يجمع (كتاباً جامعاً للأحكام المختلطة الصواب بالخطأ – وجعلها – حكماً واحداً صواباً، لرجونا أن يكون اجتماع السير قرينة لإجماع الأمر برأي أمير المؤمنين وعلى لسانه، ثم يكون ذلك من إمام آخر الدهر، إن شاء الله)[47].

ولتصبح سياسة القضاء وتوحيد الأحكام تبدأ من مركز الخليفة ويصبح لها السيادة لتشمل كل سكان ديار المسلمين.

ب- تخليق الحياة الاجتماعية لديار المسلمين:

نظراً لتفشي الفساد في الناس فإن الحاجة إلى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو أشد من حاجتهم إلى أقواتهم التي يعيشون بها[48].

وإذا كان (أهل كل مصر وجند أو ثغر فقراء .. يكون لهم من أهل الفقه والسنة والسير والنصيحة مؤدبون مقومون يذكرون ويبصرون الخطأ ويعظون عن الجهل ويمنعون عن البدع، ويحذرون الفتن، ويتفقدون أمور عامة من هو بين أظهرهم حتى لا يخفى عليهم منها مهم، ثم يستصلحون ذلك ويعالجون ما استنكروا منه بالرأي والرفق والنصح ويرفعون ما أعياهم إلى ما يرجون قوّته عليهم، مأمونين على سير ذلك وتحصينه، بصراء، بالرأي حين يبدوا، وأطباء باستئصاله قبل أن يتمكن.

وفي كل قوم خواص رجال عندهم على هذا معونة إذا صنعوا لذلك، وتلطف لهم وأعينوا على رأيهم وقووا على معاشهم، ببعض ما يفرغهم لذلك ويبسطهم له وخطر هذا جسيم في أمرين: أحدهما:- رجوع أهل الفساد إلى الصلاح، وأهل الفرقة إلى الألفة؛ والأمر الآخر أن لا يتحرك متحرك في أمر من أمور العامة الإوعين ناصحة ترمقه، ولا يهمس

هامس إلا وأذن شفيقه تصيخ. نحوه، وإذا كان ذلك لا يقدر أهل الفساد على تربص الأمور وتلقيحها، وإذا لم تلقح كان نتاجها بإذن الله مأموناً[49].

وبفكرة عامة وكخلاصة وهي:

إذا كان ابن المقفع قد قام بدوره في إصلاح الدولة والمجتمع عبر صياغة مقفعية رسالة الصحابة تعيد مأسسة ديار المسلمين كسلطان يبسط سيادته على كل سكانه ويعيد تعريف مهام الدولة وأخلاق المجتمع، فإن السؤال الذي أضعه هنا ، ما هي صورة الدولة المقفعية في التصوير المجازي رياعية الأسس:- العقل، الدولة، العافية والعدل في رسالة يتيمة السلطان؟

المبحـث الثاني:
مفهوم الدولة بمعاني ودلالات الرموز المجازية في رباعية الأسس الاجتماعية:- العقل، الدولة، العافية والعدل.

ينفرد ابن المقفع في سياق الثقافة العربية الإسلامية في صياغة تصوير سياسي اجتماعي كعلاقة بين الرموز الرباعية: العقل، الدولة ، العافية والعدل، ويضع العدل باعتباره الأساس الذي يفاضل بين ثلاثية الأسس:- العقل والدولة والعافية، ويحكم بأفضلية العقل لبناء دولة العقل والعافية عندما يحكم بإجماع العقل والدولة لاحتياج كلاً منهما للآخر مع احتياجهما للعافية وحسن المعيشة وطيب الحياة باللذة والجمال والمنفعة.

وفي هذه الرسالة تتجلى دلالات ومعاني التصوير الرمزي لبناء أسس الدولة والمجتمع وأصحابها وتعريفها كقوة قهرية ولها القدرة كجهاز يتكون من علاقة أقلية من الأعوان لتسيير أكثرية الجنود والفرسان ويكتمل جهازها المادي (الجسدي) بعقلها: بصرها ونورها (المعرفي) كقوة معرفية وعلمية تكتمل بالعافية التي هي طيب الحياة في المجتمع والتلذذ بالخيرات للأموال التي تشبع الحاجيات المجتمعية:
والسؤال الذي أضعه في هذا السياق هو:-
-ما هي طبيعة معاني ودلالات التصوير المجازي لعلاقة رباعية الأسس:- الدولة، العقل، العافية والعدل؟

المطلب الأول: دلالات ومعاني اختلاف الصور الرمزية:- العقل، الدولة ، العافية والعدل.

صور ابن المقفع رمز العدل في صورة [150] الكهل ورمز الشاب جسد كلاً من الدولة والعقل وتفردت العافية برمز الأمرد والذي يعتبر أفضل حالات الإنسان. كما اختلفت صفات الجسد والأعضاء والثياب والزينة في هذه الرباعية المجازية وكذلك الشيء الجالس عليه كلاً من رموز الرباعية وفي ضوء تعريف دلالات ومعاني رموز الصور جاءت الإجابات للتعريف إلى ماهية العقل والدولة والعافية والعدل عند ابن المقفع.

-الفقرة الأولى: اختلاف الرموز التصويرية للزمان في رباعية:-

العقل، الدولة، العافية والعدل.

يجري ابن المقفع في وصف مقارنة مجازية بين الرموز الرباعية وهي:- الدولة، العقل ، العافية والعدل.

وهنا يثير مسألة تصور الخلاف بين ثلاثة أشخاص في المجتمع – في المفاضلة والاختيار بين العقل، الدولة والعافية وإبراز أهمية دور الحكيم المصور الذي يستطيع أن يتصور الرموز وينتج المعاني والدلالات ويجيب عن أسئلة مجتمعة وهو الشخص الرابع الذي جسد العدل.

كما في الشكل التالي:-

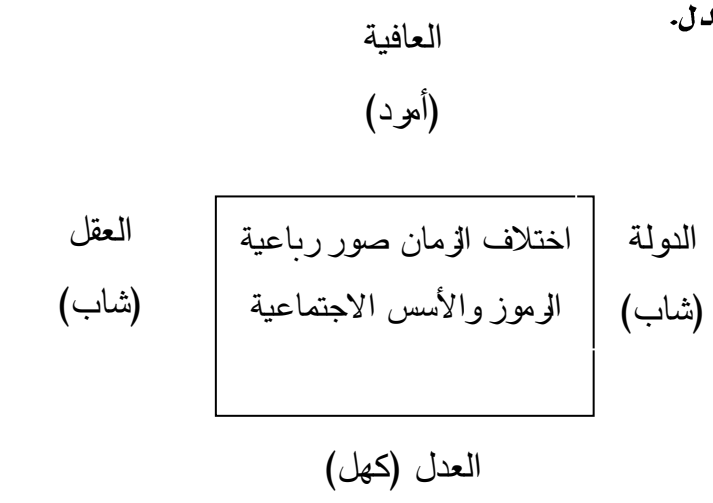

وهذا الشكل يبين وظيفة الحكيم الذي سيجيب ويحكم باعتباره الأساس الرابع أو بالأصح باعتباره تجسيد للعدل ورمزه (الكهل) ويجسده في الواقع (ابن المقفع) ودوره في إنتاج الترجمات (كليله ودمنه) وتجسيده للحكم الذي سيجيب ويقوم بتصوير الإشكالية في مجتمعه ليس بقصص الحيوانات ولكن بصياغات مقفعية ورموز مجازية للحضارات والاستفادة من مخزن الزمان والتاريخ والتي تجيب عن اختلاف الأسس الاجتماعية: العقل، الدولة والعافية ودور العدل (الكهل) كرمز للزمان والحكمة والتي تعيد بناء وتركيب إجتماع المختلفين: الشابان: العقل والدولة والأمرد وسعيهم للاجتماع مع العافية.

وكذلك اختلاف رموز الجسد والأعضاء والثياب وسيلة الجلوس لرباعية الرموز كما في الشكل التالي:

الرمز	الجنس	الصفات الجسدية وسيلة	الثياب
العقل	شاب	حسن اللون وجهة الشمس الطالعة ذات الأنوار الساطعة	عليه ثياب فاخرة + جالس على مقعده
الدولة	شاب	طوال الجسم قوي البدن عبل الذرعين متين الساعدين عظيم المنكبين لا يحد مدى قدرته ولا يوقف على غاية قوته في بصره بعض الغشاوة	+ قاعدة على كرسي مستدير متدحرج
العافية	أمرد		مصبغ الثياب + طيب الريحة + كثير الزينة + جالس على عجله عليه ثياب بيض نظاف
العدل	كهل	حسن الوجه مربع القد مقتد الحركات + معتدل الأوصال	بأحد يديه السكر وفي الأخرى+ الصبر وبين يديه دواء مركب جالس على سرير له أربع قوائم

فالعقل حسن اللون وجهة الشمس الطالعة ذات الأنوار الساطعة.
بينما الدولة طوال الجسم قوي البدن وعبل الذراعين ومتين الساعدين وعظيم المنكبين لا يحد مدى قدرته ولا يوقف على غاية قوته وفي بصره بعض الغشاوة.
والكهل حسن الوجه مربع القد مقتد الحركات معتدل الأوصال.
وهؤلاء الثلاثة تأتي أوصافهم بالرأس (الوجه) وأعضاء الجسم ويغيب ذلك عن رمز العافية (الأمرد).
وأما يخص ما يوضع على الجسد ويعطيه من الثياب والزينة فالعقل يرمز له بالشباب الذي عليه الثياب الفاخرة.
والعافية بالأمرد مصبغ الثياب وطيب الريح وكثير الزينة.
والعدل عليه ثياب بيض نظاف ويغيب أي وصف للدولة ورمزها الشاب.
وفيما يخص الأشياء والوسائل الجلوس(مقدة – كرسي مستدير – متحرج – عجلة – سرير له قوائم أربع) فقد تعددت لكلاً من الرموز الرباعية كما يلي:-
-العقل الجالس على قعدة.
-والدولة الجالس على كرسي مستدير متدحرج.
-والعافية الجالس على عجلة.
-والعدل الجالس على سرير له قوائم أربع.

وهذا التصوير المجازي ليس إلا انعكاس لاختلاف الأسس الاجتماعية لبناء السلطان في المجتمع وكسؤال اجتماعي للبحث عن الأفضلية وكاحتياج إلى إجابة الفاضل لسؤال عصره ومجتمعه بأن يحكم بينهم وبين الهم الفاضل من المفضول.
وعليه أضع السؤال التالي:-
ما هي المعاني والدلالات للرموز التي أعطاها وتصورها ابن المقفع لرباعية: الدولة ، العافية، العقل، العدل؟

لقد حدد ابن المقفع معاني رموزه، كما يلي:-

-العقل: نور وزينة. وجالس على كرسي مربع.

-الدولة: قامة طويلة وأوصال غليظة ومادة ثابتة في الأحوال كلها وغشاوة في العينين وجالس على كرسي مستدير متدحرج.

-العافية: الثياب المصبغة والريحة الطيبة والعجلة الجالس عليها.

-العدل: ربع القامة ومعتدل الحركات والثياب النظاف والسكر والصبر في اليدين والدواء المركب وجالس على سرير له قوائم أربع.

-الفقرة الثانية: دلالات ومعاني الرموز المجازية لرباعية: العدل، الدولة ، العافية والعقل. تأتي الدلالة والمعاني كعلاقة بين السؤال المجتمعي وإجابة الحكيم العادل كما في الجدول التالي:-

الرمز	سؤال الحكيم لرموز وأوصاف الرباعية	دلالات ومعاني وإجابة الرموز لسؤال الحكيم
العقل	ما هذا النور الذي عليك؟	العلم والبصر.
	ما هذه الزينة التي عليك؟	الوقار والتثبت التي بها قوام العالم وتمام أمور الدنيا واللذة العلمية التي يجري المتعلمون.
	ما هذا الكرسي المربع الذي أنت قاعد عليه؟	هو لأني إذا حللت موضعاً لم أزل عنه إلا أن أزال.
الدولة	ما هذه القامة الطويلة والأوصال الغليظة والمادة الثابتة في الأحوال كلها؟	هو عظم قوتي، وشدة صولتي وغلبتي تفضل قوتي وقدرتي الكثير من الجند والعديد من الفرسان باليسير الضعيف من الأعوان.
	ما هذه الغشاوة التي في عينيك؟	لوقوعي إلى من لا يستحقني ومن يستحقني وكوني في غير أهلي مرة وفي أهلي أخرى فصرت لذلك أعشى.
العافية	من أنت؟	أنا العافية.
	ما بالك أمرد؟	لأن ذلك أفضل حالات الإنسان.
	ما هذه الثياب المصبغة والرائحة الطيبة التي تفوح منك؟	هي المنفعة التي لها يريد ني كل أحد.
	ما هذه العجلة التي أراك جالساً عليها؟	سرعة إجابتي إذا حركت ولزومي موضعي إذا تركت.
العدل	من أنت؟	أنا العدل.
	فما بالك ربع القامة معتدل الحركات.	كذا ينبغي أن يكون العدل واسط بين الطرفين.
	فما هذه الثياب النظاف التي أراها عليك؟	لأنه لم يشبها دنس ولا خلط.
	فما هذا السكر الذي في إحدى يديك والصبر في الأخرى. وما الدواء المركب؟	أما السكر فهي الحلاوة التي يجدها من أقضي له بالحق.

الرمز	سؤال الحكيم لرموز وأوصاف الرباعية	دلالات ومعاني وإجابة الرموز لسؤال الحكيم
		والصبر فهي المرارة التي يجدها من أقضى عليه والدواء المركب فهو مركب من الأخلاط الأربعة على التساوي ليكون معتدلاً وهو دليل الصلح بين الخصمين.
	وما هذا السرير الذي أراك جالساً عليه؟	لأنه لا يصلح لي غيره لأنه لو نقص منه قائمة لنقص بشكل المساواة ولظهر ميل السرير وأعوجاجه وأنا ضد ذلك.

لقد عرف ابن المقفع رموز العقل وأجابته لأسئلته بأنه العلم والبصر والوقار والتثبت التي بها قوام العالم وتمام أمور الدنيا.

لذا فيرمز الكرسي المربع الذي جالس عليه الشاب؛ وأما الدولة فتدل معاني رموزها إلى عظم القوة وشدة الصولة والقوة والقدرة تأتي بعلاقة الكثير من الجند والعديد من الفرسان باليسير الضعيف من الأعوان.

ولتولي مناصب الأعوان إلى من يسحقها ومن لا يسحقها من الوزراء والولاة والقادة والكتاب.

وأما العافية وعدم معرفته له بسؤاله من أنت وكذلك العدل.
فقد عرف بنفسه أفضل حالات الإنسان وبأنها المنفعة التي الجميع يريدها وتأتي سرعة إجابتها إذا حركت ولزومها موضعها إذا تركت.

وأما العدل الأساس الذي يبنى عليه بقية الأسس فقد عرفه بالوسطية بين الأطراف وعدم خلطها وقدرته على الحكم والفصل بين الخصوم وتركيب الأخلاط للصلح بين الخصمين.

والسرير القاعد عليه يشكل المساواة والعدل.

وهنا نلاحظ مشابهة مقطع (الرجل والتنين في البئر في المقدمة التي أضافها في كتاب كليل ودمنه برزوية بن أزهر كما يلي:

الصور والرموز	المعاني والدلالات
البئر المملوءة آفات	الدنيا وشرورها
الحيات الأربع	الأخلاط الأربعة التي في البدن متى هاجت حيث كانت كحمة الأفاعي والسم المميت
الغصنين	الأجل، الذي هو إلى حين لابد من فنائه وانقطاعه
الجرذين الأسود والأبيض	الليل والنهار
التنين	المصير الذي لابد منه

العسل	الحلاوة القليلة، التي ينالها منها الإنسان فيرى ويطعم ويسمع ويتسم ويلمس ويتشاغل ويفهم.

وفي هذا السياق ندرك معنى الكهل كرمز للحكيم الذي هو قاعد على السرير في كتاب كليلة ودمنه ومعناه الماضي الحضاري للثقافات الهندية والفارسية والذي جسده ابن المقفع في عصره وفي علاقته مع مجتمعه وحكامه.

المطلب الثاني: حكم العدل بين اختلاف ثلاثية العقل ، الدولة والعافية:-

جاء حكم العدل بأفضلية العقل وخيرته في كل الجهات عن الدولة والعافية وقد احتاج العقل لهذا الفصل وحكم العدل نظراً لوقوع الظلم والجور من قبل الدولة وفي نفس السياق اكتمل عدل حكم العدل في اجتماع عقل الدولة وعافيتها.

-الفقرة الأولى: أفضلية العقل على الدولة والعافية.

بعد طلب الحكيم من العدل أن يحكم في اختلاف المفاضلة والخيرة للأشياء بين العقل والدولة والعافية.

فقد جاء موقف العدل للعقل بالتعجب والاستغراب من معنى مخاصمة العقل لهذين (للدولة والعافية) رغم معرفة العقل أن الأمور كلها لها جهات فبعض الأشياء أفضل في جهة ومخاطباً العقل بأنه أفضل في كل الجهات وكل واحد من هذين الخصمين خلق لأمر واحد وأنت المحيط بجميع العلوم.

لذا فقد برر العقل مشروعية سؤاله وطلبه وحقه في حكم العدل بأنه كان في أشد الاحتياج لهذا الموقف نتيجة ظلم الدولة وجورها له – العقل – وادعائها الفضل لنفسها. وقال العقل أنه لا أستريح حتى تحكم بيننا بحكمك.

-الفقرة الثانية: عدالة اجتماع عقل الدولة وعافيتها:

لقد جاء حكم العدل (الأساس) الذي يعيد بناء الأسس الاجتماعية: الدولة، العقل والعافية بقوله:

أيها العقل أنك نور وأنتِ أيتها الدولة فقوة وتدبر ولا تمام الإ باجتماعكما فاجتمعوا واعتنقوا وصاروا هناك شيئاً واحداً.

وحكم للعافية بقوله أنها: زين وجمال ولذة ومتعة فمن كنت معه انتفع لنفسه وطابت له الحياة وحسن عيشه.

وبمعنى آخر فقد حكم باجتماع عقل الدولة وصاروا بصرٌ ونور وتدبير (عقل الدولة ودولة العقل) التي هي بحاجة الزين والجمال والمتعة واللذة والمتعة وطيب الحياة وحسن العيش وهذا لا يتأتى إلا باجتماعها مع العافية.

حكم العدل	العقل: بصر ونور	تعريف الدولة (قوة وقهر وتدبير)	تعريف العافية (زين + جمال + لذة + متعة + طيب الحياة وحسن المعيشة).
حكم المفاضلة والخيرة	أفضلية العقل على:- الدولة والعافية	الدولة (أفضلية البصر والنور على القوة والقهر والتدبير على العزة والمنعة وطيب الحياة وحسن المعيشة).	والعافية
الحكم بالاجتماع ثلاثية العقل والدولة والعافية	عقل الدولة (بصر ونور قوة وقهر وتدبير) دولة العقل والعافية (طيب الحياة وحسن المعيشة)		
أساس العدل لبناء دولة العقل والعافية			

- **الخلاصة العامة:**

يمكن أن نجملها وبفكرة عامة كما يلي:-

-الدولة باعتبارها بنية باعتبارها صورة ... تكتسي هذه الموضوعات أهمية رئيسية بالنظر إلى ظروف صياغتها والطريقة التي تمت بها هذه الصياغة[152].

وتتمثل أصالة العلم السياسي المقفعي في كونه ليس فقط قادر على قدرة العقل على تأسيس دولة – حسب حميد دليمي – ولكن على قدرة العقل على تأسيس دولة العافية أو بالأصح قدرة العدل على تأسيس عقل دولة العافية في إطار دلالات ومعاني التصوير المقفعي لرباعية الأسس الاجتماعية: الدولة ، العقل، العافية ، العدل.[253]

52- حميد دليمي. م. س، صـ 121.

53- حميد دليمي. م. س، صـ 121.

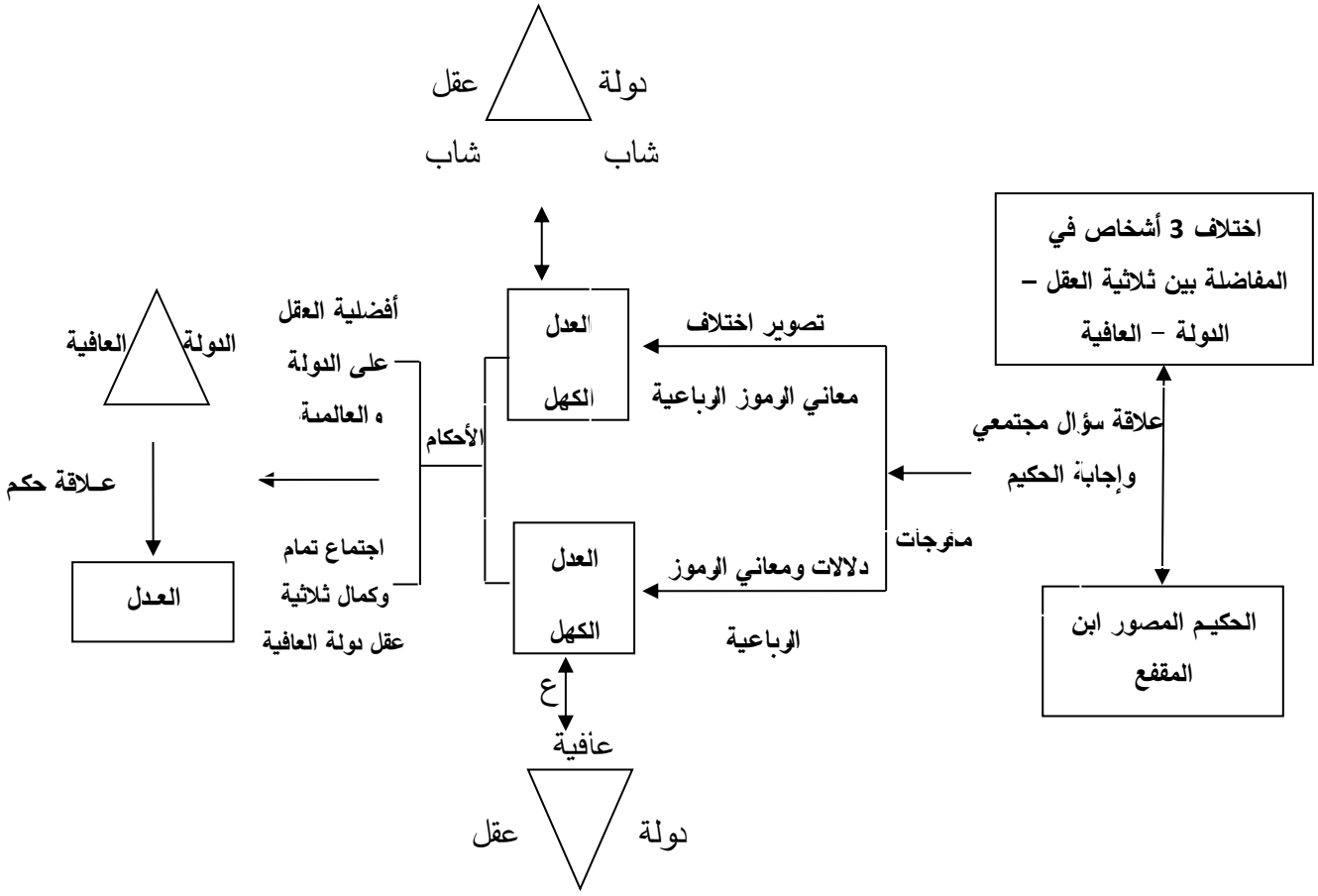

(رباعية بناء الأسس الاجتماعية والسياسية لابن المقفع)

الهوامش والمراجع:

1- هو أبو محمد عبدالله (روزبه) بن دازوية المشهوربابن المقفع، فارسي الأصل، ولد في البصرة سنة (724م/ 106هـ)، وقد أجاد ترجمة العربية للآداب الفارسية، وكان من كتاب الحكم الأموي والعباسي، وعمل لدى يزيد بن عمر والي العراق في عهد آخر خلفاء بني أمية (مروان بن محمد)، ومات مقتولاً في عهد ثاني خلفاء بني العباس، وقد تعددت أسباب قتله في كتب التاريخ أهمها: اتصاله بالمناوئين بالحكم، زندقته، كتاباته ، ...) كما أنه قد ترجم عدة كتب إلى اللغة العربية أهمها:-

(كليلة ودمنة) وكانت ثقافته ممزوجة بين حضارات الأغريق والهنود والفرس والإسلام وتجلت آثاره في الكتابة بـِ: الدرة الثمينة أو الأدب الصغير، والأدب الكبير ...).

انظر:-

-عبدالله بن المقفع، كتاب كليلة ودمنة . (المكتبة العصرية، صيدا: بيروت 2003م، ص807).

2- انقسم المفكرون بخصوص وجود نظرية الدولة في السياق العربي- الإسلامي إلى قسمين هما:-

الأول: غياب نظرية للدولة العربية الإسلامية، وغموضها طوبائيتها – العروي – بل أن الممارسات في سقيفة بني ساعده – وإلى الامتداد عمقت وزادت الغموض – الذي أظهر انقسام المسلمين بين مهاجرين وأنصار وانقسام الأنصار إلى أوس وخزرج مما ساعد على حسم الخلاف بقرشية الخلافة وتولي أبو بكر الحكم فأوصى بها لعمر ابن الخطاب، وهذا جعلها في ستة رست على عثمان عندما التزم العمل بسيرة الشيخين، وعندما رفض الصحابة لحكمه، ورفض التنازل بقوله (لا أنزاع قميصاً ألبسنيه الله) تم قتله، ثم تمت البيعة لعلي بن أبي طالب اضطرابا، وبدأ نزاع بين علي وعائشة (الجمل)، ومع معاوية وغيره ممن رفض تولي علي للحكم، وللتحكيم (الخوارج).

وبانقسام المسلمين حول الخلافة إلى فريقين هما:

1- السنة وفقهائها الذين شرعنوا قرشية الحكم وتكريس القضاء والقدر لدى الأمويين والإرادة الإلهية لدى العباسيين وعملوا على نسخ خطاب الاستحواذ على الحكم.

2- الشيعة الذين تمسكوا بأحقية علي وأبنائه في الحكم وانقسموا حول مسألة الإمامة إلى فرق أهمها: (الاثنى عشرية – الإسماعيلية – الزيدية).

والخطاب الثاني:- يؤكد على وجود خطاب فكر سياسي إسلامي بل ويدعو لوضعه في خانة علم السياسة ويمثله حميد دليمي ومشروعه الفكري عند ابن المقفع.

انظر خطاب القسم الأول عند كلاً من:-

-عبدالله العدوي. إشكالية الدولة العربية، (مجلة المشروع)، العدد: 2. أكتوبر 1980م صـ 9- 45.

-علي عبدالرزاق. الإسلام وأصول الحكم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/1، 1972م. موضوعات متفرقة.

-محمد الجابري. العقل السياسي العربي، بيروت: المركز الثقافي العربي. 1996م. صـ 129 - 195.

الخ انظر خطاب القسم الثاني عند كلاً من:-

-حميد دليمي، الدولة. الأخلاق والسياسة في السياق العربي الإسلامي. سندي للطباعة والنشر والتوزيع. مكناس. ط/1، 1999م.

-حسن الظاهر. محمد بن عبدالله الشوكاني: رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين. دار ابن حزم، ط/1. سنة 1992م.

-عبدالإله الكبسي. النظرية السياسية لدى زيدية اليمن (رسالة ماجستير) كلية الحقوق، عين الشق: بجامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، للعام 1999م.

3- الخ، رسالة يتيمة السلطان اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية، فقال بعضهم: العقل أفضل، وقال آخر: الدولة خير. وقال الثالث: العافية خير الأشياء كلها. وكل منهم أثنى على ما فضله وفضل ما انتصر له. فلما انتهى بهم الخطاب إلى غايته أتوا حكماً في عصرهم فاضلاً له في الإصابة عجائب، حتى أنه يتصور له في خاطرة الأشياء على صور مختلفة، فسألوه أن يحكم بينهم ويبين لهم الفاضل من المفضول. فقال لهم: إني فاعل ذلك. ففكر فيما سألوه فتمثل له العقل على صورة شاب حسن اللون عليه ثياب فاخرة وزينة ظاهرة، وكان وجهه الشمس الطالعة، ذات الأنوار الساطعة ، وهو جالس على قعدة[51] مربعة. ثم تصورت له الدولة في صورة شاب طوال الجسم قوي البدن عبل الذراعين متين الساعدين عظيم المنكبين، لا يُحدّ مدى قدرته ولا يوقف على غاية قوته، وفي بصره بعض الغشاوة، وهو قاعد على كرسي مستدير متدحرج، ثم تصورت له العافية في سورة أمر مصبغ الثياب، طيب الريح كثير الزينة، وهو جالس على عجلة، فسأل الحكيم العقل وقال: ما هذا النور الذي عليك؟ قال: هو العلم والبصر. قال: فما هذه الزينة التي عليك؟ قال: هي الوقار والتثبت التي بها قوام العالم وتمام أمور الدنيا وهي اللذة العلمية التي عليها يجري المتعلمون. قال: فما هذا الكرسي المربع الذي أنت قاعد عليه؟ قال: هو لأني إذا حللت موضعاً لم أزل عنه إلا أن أزال. ثم سأل الدولة وقال: ما هذه القامة الطويلة والأوصال الغليظة والمادة الثابتة في الأحوال كلها؟ قال: هو عظم قوتي، وشدة صولتي وغلبتي، تفضل قوتي وقدرتي الكثير من الجند والعديد من الفرسان باليسير الضعيف من الأعوان. قال: فما هذه الغشاوة التي في عينيك؟ قال: لوقوعي إلى من لا يستحقني ومن يستحقني، وكوني في غير أهلي مرة وفي أهلي أخرى، فصرت لذلك أعشى.

قال: فما هذا الكرسي المتدحرج الذي أنت عليه؟ قال: قلة لبثي في موضع واحد وثباتي، وتحولي من قوم إلى قوم. ثم سأل العافية فقال: من أنت؟ قالت: أنا العافية: قال: فما بالك أمرد؟ قال: لأن ذلك أفضل حالات الإنسان. قال فما هذه الثياب المصبغة التي أراها عليك؟ قال: هي حِليتي وزينتي. قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي تفوح منك؟ قال: هي المنفعة التي لها يريدني كل أحد. قال فما هذه العجلة التي أراك جالساً عليها؟ قال: هي سرعة إجابتي إذا حركت، ولزومي موضعي إذا تركت. ثم تصور له في خاطره كهل حسن الوجه ربع القد مقتدر الحركات معتدل الأوصال، عليه ثياب بيض نظاف، بإحدى يديه السكر وفي الأخرى الصبر، وبين يديه دواء مركب، وهو جالس على سرير، له قوائم أربع، فسأله الحكيم وقال: م أنت؟ قال: أنا العدل وقال: فما بالك ربع القامة معتدل الحركات؟ قال: كذا ينبغي أن يكون العدل واسطاً بين الطرفين، قال: فما هذه الثياب البيض النظاف التي أراها عليك؟ قال: لأنه لم يشبها دنس ولا خلط. قال: فما هذا السُكر الذي في إحدى يديك والصبر في الأخرى، وما الدواء المركب الموضوع بين يديك؟ قال: أما السُكر، فهي الحلاوة التي يجدها من أقضى له بالحق؛ وأما الصبر، فهي المرارة التي يجدها من أقضي عليه؛ وأما الدواء المركب، فهو مركب من الأخلاط الأربعة على التساوي ليكون معتدلاً، وهو دليل الصلح يكون بين الخصمين. قال: فما هذا السرير الذي أراك جالساً عليه. قال: لا يصلح لي غيره لأنه لو نقص منه قائمة لنقص شكل المساواة ولظهر ميل السرير واعوجاجه وأنا ضد ذلك. قال الحكيم: فأنا أسألك أن تحكم بين هؤلاء وتقضي بينهم لأنك العدل. قال العدل للعقل: أما أنت فما معنى مخاصمتك لهذين وأنت تعلم أن الأمور كلها لها جهات، فبعض الأشياء أفضل في جهة وبعضها أفضل في جهة، وأنت أفضل في كل الجهات، وكل واحد من هذين الخصمين خلق لأمر واحد وأنت المحيط بجميع العلوم، قال العقل: صدقت أيها العدل، وما أحوجني إلى هذا الموقف إلا ظلمُ الدولة إياي وجورها عليّ في باطن أدعائها الفضل لنفسها، ولا أستريح منه حتى تحكم بيننا بحكمك. قال العدل:م أما إذا ادعيتم أني فاصل بينكم بحكمي فأقول: أيها العقل إنك بصر ونور، وأنتِ أيتها الدولة فقوة وقهر وتدبير، ولا تمام إلا باجتماعكما فاجتمعوا. قال: فاعتنقوا وصاروا هنالك شيئاً واحداً ثم التفت إلى العافية فقال: أنت زينٌ وجمال ولذة ومتعة، فمن كنتِ معه انتفع بنفسه وطابت له الحياة وحَسُنَ عيشه.

1- القعدة: (الطنقرط) ويريد بها هنا الكرسين استئناساً بما سيأتي.

انظر الرسالة عند:-

-كرر على، رسائل البلغاء، القاهرة، 1937 صـ 169 – 171.

-حميد دليمي. م. س. صـ 20 - 22.

4- رسالة ابن المقفع في الصحابة:-

أما بعد: أصلح الله أمير المؤمنين، وأتم عليه النعمة، وألبسه المعافاة والصحة فإن أمير المؤمنين – حفظه الله – يجمع مع علمه، المسألة والاستماع، كما كان ولاة الشر يجمعون، مع جهلهم، العجب والاستغناء؛ ويستوثق لنفسه بالحجة ويتخذها على رعيته فيما يلطف له من الفحص عن أمورهم، كما كان أولئك يكتفون بالدعة، ويرضون بدحوض الحجة[6] وانقطاع العذر في الامتناع أن يجترئ عليهم أحد برأيٍ أو خبر، مع تسلط الديان.

وقد عصم الله أمير المؤمنين- حين أهلك عدوه، وشفى غليله، ومكن له في الأرض، وآتاه ملكها وخزائنها- من أن يشغل نفسه بالتمنع والتفيُّش[7] والتأتل والإتلاد[8]، وأن يرضى مما أوى[9] بالمتاع به، وقضاءِ حاجة النفس منه وأكرم الله أمير المؤمنين باستهانة ذلك واستصغاره إياه. وذلك من أبين علامات السعادة وأنجح الأعوان على الخير.

وقد قص الله عز وجل علينا من نبأ يوسف بن يعقوب أنه لما تمت نعمة الله عليه، وآتاه الملك وعلمه من تأويل الأحاديث، وجمع له شمله، وأقر عينه بأبويه، وإخوته، أثنى على الله عز وجل بنعمته، ثم سلا عمَّا كان فيه، وعرف أن الموت وما بعده هو أولى، فقال: توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

وفي الذي قد عرفنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخبر فيما ظن أنه لم يبلغه إياه غيره، وبالتذكير بما قد انتهى إليه. ولا يزيد صاحب الرأي على أن يكون مخبراً أو مذكراً، وكلٌ عند أمير المؤمنين مقبولٌ إن شاء الله. مع أن مما يزيد ذوي الألباب نشاطاً إلى إعمال الرأي، فيما يُصلح الله به الأمة في يوما أو غابر[10] دهرها، الذي[11] أصبحوا قد طمعوا فيه. ولعل ذلك أن يكون على يدي أمير المؤمنين؛ فإن مع الطمع الجَدَّ، ومع اليأس القعود، وقلَّما ضعف الرجاء إلا ذهب الرخاء. وطلبُ المؤيس[12] عجز، وطلب الطامع حزم. ولم ندرك الناس نحن ولا آباؤنا إلا وهم يرون فيها خللاً تقطع الرأي وتمسك بالأفواه، من حال والٍ لم يُهمَّه الإصلاح، أو أهمه ذلك ولم يثق فيه بفضل رأي، أو كان ذا رأي وليس مع رأيه صول بصرامة أو حزم، أو كان ذلك استئثاراً منه على الناس بنشب، أو قلة تقدم لما يجمع أو يُقسَّم، أو حال أعوان يُبتلى بهم الولاة ليسوا على الخير بأعوان، وليس له إلى اقتلاعهم سبيل لمكانهم من الأمر، ومخافة الدول والفساد إن هو هاجمهم أو انتقص ما في أيديهم، أو حال رعية متزرة[13] ليس من أمرها النصف في نفسها، فإن أخذت بالشدة حميت وإن أخذت باللين طغت.

وكل هذه الخلائق قد طهَّر الله منها أمير المؤمنين فآتاه في نيته ومقدرته وعزمه، ثم لم يزل يرى ذلك منه الناس حتى عرفه منهم جُهَّالهم فضلاً عن علمائهم. وصنع الله لأمير المؤمنين ألطف الصنع في اقتلاع من كان يشركه

---

6 - دحوض الحجة: بطلانها. والفعل كمنع.

7 - ويريد بالتفيش: الكبر والادلال؛ يقال: فاش الرجل، إذا افتخر. ولعل خير ما ينساق مع التفيش، التمنع، بمعنى العز، وتمنع الرجل، إذا اعتز وتعسر.

8 - التأتل: جمع المال واكتسابه. واتلاده، أي تنميته. يقال: تلد المال يتلد (بضم اللام وكسرها)؛ ولد عندك ونتج؛ وأتلدت أنت.

9 - أوى، أي جمع. وأوي، بالقصر، بمعنى آوى، بالمد.

10 - غبر: مكث وذهب، من الأضداد، والمراد هنا الأول.

11 - الذي، اسم أن.

12 - المؤيس (بتشديد الياء المفتوحة): اسم مفعول من (أيسته). إذا جعلته يقنط.

13 - اتزر: ارتكب الوزر، وهو الذنب.

في أمره على غير طريقته ورأيه، حتى أراحه الله وآمنه منهم، بما جعلوا من الحجة والسبيل على أنفسهم، وما قوى الله عليه أمير المؤمنين في رأيه وإتباعه مرضاته، وأذل الله لأمير المؤمنين رعيته بما جمع له من اللين والعفو، فإن لان.

وقال أهل الفضل والصواب: قد أصاب الذين قالوا: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولم يُصيبوا في تعطيلهم طاعة الأئمة وتسخيفهم إياها. وأصاب الذين أقروا بطاعة الأئمة لما حققوا منها، ولم يُصيبوا فيما أبهموا من ذلك في الأمور كلها.

فأما إقرارنا بأنه لا يطاع الإمام في معصية الله: فإن ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لأحد عليها سلطاناً، ولو أن الإمام نهى عن الصلاة والصيام والحج، أو منع الحدود وأباح ما حرم الله، لم يكن له في ذلك أمر.

فأما إثباتنا للإمام الطاعة فيما لا يُطاع فيه غيره: فإن ذلك في الرأي والتدبير والأمر الذي جعل الله أزمته وغراه بأيدي الأئمة، ليس لأحدٍ فيه أمرٌ ولا طاعة، من الغزو والقفول، والجمع والقسم، والاستعمال والعزل، والحكم بالرأي فيما لم يكن فيه أثر، وإمضاء الحدود والأحكام على الكتاب والسنة، ومحاربة العدو ومهادنته، والأخذ للمسلمين والإعطاء عنهم. وهذه الأمور كلها وأشباهها من طاعة الله عز وجل الواجبة، وليس لأحد من الناس فيها حق إلا الإمام، ومن عصى الإمام فيها أو خذله فقد أوتغ[14] نفسه.

وليس يفترق هذان الأمران إلا ببرهان من الله عز وجل؛ وذلك أن الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين: الدين والعقل، ولم تكن عقولهم – وإن كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها- بالغة معرفة الهدى، ولا مبلغة أهلها رضوان الله، إلا ما أكمل لهم من النعمة بالدين الذي شرع لهم، وشرح به صدر من أراد هده منهم ثم لو أن الدين جاء من الله، لم يغادر حرفاً من الأحكام والرأي والأمر وجميع ما هو وارد على الناس وحادثٌ فيهم، مُذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى يوم يلقونه، إلا جاء فيه بعزيمة، لكانوا قد كلفوا غير وسعهم فضيق عليهم في دينهم، وآتاهم مالم تتسع أسماعهم لاستماعه، ولا قلوبهم لفهمه، ولحارت عقولهم وألبابهم أمتن الله بها عليهم، ولكانت لغواً لا يحتاجون إليها في شيء، ولا يعملونها إلا في أمرٍ قد أتاهم به تنزيلٌ؛ ولكن الله من عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعه رأيهم كما قال عباد الله المتقون: "وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله".

ثم جعل ما سوى ذلك من الأمر والتدبير إلى الرأي، وجعل الرأي إلى ولاة الأمر، ليس للناس في ذلك الأمر شيء إلا الإشارة عند المشورة، والإجابة عند الدعوة والنصيحة بظهر الغيب.

ولا يستحق الوالي هذه الطاعة إلا بإقامة العزائم والسنن مما هو في معنى ذلك. ثم ليس من وجوه القول وجه يلتمس فيه إثبات فضل أهل بيت أمير المؤمنين على أهل كل بيت، وغير ذلك مما يحتاج الناس إلى ذكره، إلا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف ما هو أبلغ مما يغلو فيه الغالون؛ فإن الحجة ثابتة والأمر واضح بحمد الله ونعمته.

ومما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولي أحداً منهم شيئاً من الخراج؛ فإن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة. ولم يزل الناس يتحامون ذلك منهم وينحونه عنهم، لأنهم أهل دالة ودعوى بلاءٍ، وإذا كانوا جلاباً للدراهم والدنانير أجترعوا عليهما. وإذا وقعوا في الخيانة صار كل أمرهم مدخولاً: نصيحتهم وطاعتهم، فإن حيل بينهم وبين وضعه أخرجتهم الحمية[15]. مع أن ولاية الخراج داعية إلى ذلة وحقرية[16] وهوانٍ، وإنما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف.

---

[14] - أوتغ نفسه: أهلكها.

[15] - وضعه، أي وضع الخراج: حطه وانتقاصه. والحمية: الانفة. وأخرجتهم، أي جعلتهم يشقون عصا الطاعة.

[16] - الحقرية (بالضم): الذلة، من مصادر حقر.

لأحدٍ منهم ففي الإلحان[17] له شهيد ، على أن ذلك ليس بضعفٍ ولا مصانعة؛ وإن اشتدَّ على أحدٍ منهم ففي العفو شهيدٌ ، على أن ذلك ليس بعنف ولا خرقٍ، مع أمور سوى ذلك نكف عن ذكرها ، كراهة أن نكون كأنا نصبنا للمدح.

فما أخلق هذه الأشياء أن تكون عتاداً لكل جسيم من الخير في الدنيا والآخرة، واليوم والغد ، والخاصة والعامة، وما أرجانا لأن يكون أمير المؤمنين بما يُصلح الله الأمة من بعده أشد اهتماماً من بعض الولاة بما يُصلح رعيته في سلطانه. وما أشد ما قد استبان لنا أن أمير المؤمنين أطول بأمر الأمة عناية، ولها نظراً وتقديراً. من الرجل منا بخاصَّة أهله. ففي دون هذا ما يثبت الأمل وينشط للعمل، ولا قوة إلا بالله، ولله الحمد ، وعلى الله التمام.

فمن الأمور التي يذكر بها أمير المؤمنين، أمتع الله به، أمر هذا الجند من أهل خراسان، فغنهم جند لم يدرك مثلهم في الإسلام، وفيهم صفة بها يتمُّ فضلهم إن شاء الله.

أما هم فأهل بصرٍ بالطاعة، وفضلٍ عند الناس، وعفاف نفوس وفروج، وكفٍ عن الفساد ، وذل للولاة. فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحدٍ غيرهم. وأما ما يحتاجون فيه إلى النفعة[18] ، من ذلك تقويم أيديهم ورأيهم وكلامهم؛ فإن في ذلك القوم أخلاطاً من رأسٍ مفرط غالٍ، وتابع. متحير شاكٍ. ومن كان إنما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة، فهو كراكب الأسد الذي يوجلُ من رآه، والراكب أشد وجلاً. فلو أن أمير المؤمنين كتب أماناً معروفاً بليغاً وجيزاً محيطاً بكل شيء يجب أن يعملوا فيه أو يكفوا عنه، بالغاً في الحجة قاصراً عن الغلو، يحفظه رؤساؤهم، حتى يقودوا به دهماءهم، ويتعهدوا به منهم من دونهم من عرض الناس[19] ، لكان ذلك، إن شاء الله، لرأيهم صلاحاً، وعلى من سواهم حجة، وعند الله عذراً؛ فإن كثيراً من المتكلمين من قواد أمير المؤمنين اليوم إنما عامة كلامهم، فيما يأمر الآمر ويزعم الزاعم، أن أمير المؤمنين لو أمر الجبال أن تسير سارت، ولو أمر أن تستدير القبلة بالصلاة فعل ذلك.

وهذا كلام قل أن يسمعه من كان مخالفاً، وقلَّما يرد في سمع السامع إلا أحدث في قلبه ريبة وشكاً.

والذي يقول أهل القصد[20] من المسلمين هو أقوى للأمر، وأعز للسلطان، وأقمع للمخالف وأوصى للموافق، وأثبت للعذر عند الله عز وجل.

فإنا قد سمعنا فريقاً من الناس يقولون: لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، بنوا قولهم هذا بناءً معوجاً، فقالوا: إن أمرنا الإمام بمعصية الله فهو أهل أن يعصى، وإن أمرنا الإمام بطاعة الله فهو أهلٌ أن يطاع؛ فإذا كان الإمام يُعصى في المعصية، وكان غير الإمام يطاع في الطاعة، فالإمام ومن سواه على حق الطاعة سواءٌ.

وهذا قول معلوم بجده الشيطان ذريعة إلى خلع الطاعة والذي فيه أمنيته، لكي يكون الناس نظائر، ولا يقوم بأمرهم إمام، ولا يكون على عدوهم منهم ثقل.

وسمعنا آخرين يقولون: بل نطيع الأئمة في كل أمورنا، ولا نفتَّش عن طاعة الله ولا معصيته، ولا يكون أحدٌ منا عليهم حسيباً، هم ولاة الأمر، وأهلُ العلم، ونحنُ الأتباع وعلينا الطاعة والتسليم.

وليس هذا القولُ بأقل ضرراً في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول الذي قبله؛ لأنه ينتهي إلى الفظيع المتفاحش من الأمر، في استحلال معصية الله جهاراً صراحاً.

أمير المؤمنين أن يكتفي في جميع ما يلتمس له بأهل هذه الطبقة من الناس رجونا أن يكون ذلك فيهم موجوداً.

---

17 - الإلحان: الافهام.

18 - النفعة: العصا، يريد ما يحتاجون فيه إلى التأديب.

19 - عرض الناس: عامتهم.

20 - أوتغ نفسه: أهلكها.

وقد أزرى بأهل العراق في تلك الطبقة أن ولاة العراق فيما مضى كانوا أشرار الولاة، وأن أعوانهم من أهل أنصارهم كانوا كذلك، فحُمِل جميع أهل العراق على ما ظهر من أولئك الفسُول[21] ، وتعلق بذلك أعداؤهم من أهل الشام فنعوه عليهم. ثم كانت هذه الدولة فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والعمال إلا بالأقرب فالأقرب ممن دنا منهم، وأوجدوه بسبيل شيءٍ من الأمر، فوقع رجالٌ مواقع شائنة لجميع أهل العراق حيثما وقعوا من صحابة خليفةٍ، أو ولاية عمل، أو موضع أمانة، أو موطن جهاد. وكان من رأي أهل الفضل أن يقصدوا حيث يلتمسون، فأبطأ ذلك بهم أن يعرفوا وينتفع بهم. وإن كان صاحب السلطان ممن لم يعرف الناس قبل أن يليهم، ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ويستثبت في استقصائهم، زالت الأمور عن مراكزها، ونزلت الرجال عن منازلها؛ لأن الناس لا يلقونه إلا متصنعين بأحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام.

غير أن أهل هذا النقص هم أشد تصنعاً، وأحلى ألسنةً، وأرفق تلطفاً للوزراء أو تمحُّلاً لأن يُثنى عليهم من وراء وراء.

فإذا آثر الوالي أن يتخلص رجلاً واحداً ممن ليس لذلك أهلاً، دعا إلى نفسه جميع ذلك الشرج[22] ، وطمعوا فيه، واجترءوا عليه، وتواردوه وتزاحموا على ما عنده. وإذا رأى ذلك أهل الفضل كفوا عنه، وباعدوا منه، وكرهوا أن يروا في غير موضعهم، أو يزاحموا غير نظرائهم.

ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الأمصار والنواحي، اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها أمراً عظيماً في الدماء والفروج والأموال، فيستحيل الدم والفرج بالحيرة، وهما يحرمان بالكوفة، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيستحيل في ناحية منها ما يحرم في ناحية أخرى. غير أنه على كثرة ألوانه نافذٌ على المسلمين في دمائهم وحُرمهم، يقضي به قضاة جائرٌ أمرهم وحكمهم. مع أنه ليس ممن ينظر في ذلك من أهل العراق وأهل الحجاز فريق إلا قد لج بهم العجب بما في أيديهم، والاستخفاف بمن سواهم، فأقحمهم ذلك في الأمور التي يتبيَّغ[23] بها من سمعها من ذوي الألباب.

أما من يدعي لزوم السُّنة منهم فيجعل ما ليس سُنة سُنة، حتى يبلغ ذلك به إلى أن يسفك الدم بغير بينةٍ ولا حجة على الأمر الذي يزعم أنه سُنة. وإذا سئل عن ذلك لم يستطيع أن يقول هريق[24] فيه دمٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أئمة الهدى من بعده، وإذا قيل له: أيُّ دم سفك على هذه السُّنة التي تزعمون؟ قال: فعل ذلك عبدُ الملك بن مروان أو أميرٌ من بعض أولئك الأمراء. وإنما يأخذ بالرأي به الاعتزام على رأيه أن يقول في الأمر الجسيم من أمر المسلمين، قولاً لا يوافقه عليه أحد من المسلمين، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وإمضائه الحكم عليه، وهو مُقِرٌ أنه رأيٌ منه لا يحتجُّ بكتابٍ ولا سُنة.

فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسير المختلفة فترفع إليه في كتاب، ويرفع معها ما يحتجُّ به كل قومٍ من سُنَّة وقياس، ثم نظر في ذلك أمير المؤمنين وأمضى في كل قضيةٍ رأيه الذي يُلهمه الله، ويعزمُ عليه عزماً وينهى عن القضاء بخلافه، وكتب بذلك كتاباً جامعاً، لرجونا أن يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكماً واحداً صواباً، لرجونا أن يكون اجتماع السير قرينة لإجماع الأمر برأي أمير المؤمنين وعلى لسانه، ثم يكون ذلك من إمام آخَر آخِر الدَّهر؛ إن شاء الله.

ومما ينظر فيه من أمرهم أنَّ منهم من المجهولين من هو أفضل من بعض قادتهم، فلو التمسوا وصنعوا[25] كانوا عُدَّة وقوة، وكان ذلك صلاحاً لمن فوقهم من القادة، ومن دونهم من العامة.

---

21 - الفسول: الضعاف الأدنياء.

22 - الشرج: المثل والنوع.

23 - يتبيغ بها: يهيج.

24 - هريق: أريق، أسيل.

25 - صنعوا، أي أحسن إليهم.

ومن ذلك تعهُّدُ أدبهم في تعلُّم الكتابِ، والتَّفقُّه في السُّنّة، والأمانة والعِصمة، والمباينة لأهل الهوى، وأن يُظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب رأي المترفين وشكلهم مثل الذي يأخذ به أمير المؤمنين في أمر نفسِه، ولا يزال يُطَّلعُ عليه من أمير المؤمنين ويخرج منه من القول، مما يعرف به مقتة للإتراف والإسراف وأهلهما، ومحبته القصد والتواضع ومن أخذ بهما، حتى يعلموا أن معروف أمير المؤمنين محظورٌ عمن يكنزهُ بخلاً، أو يُنفِقه سرفاً في العطر واللباس والمغالاة بالنساء والمراتب، وأن أمير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهته المعروفة والمواساة.

ومن ذلك أمر أرزاقهم، وأن يوقت لهم أمير المؤمنين وقتاً يعرفونه في كل ثلاثة أشهر أو أربعة أو ما بدا له، وأن يعلم عامتهم العذر الذي في ذلك، من إقامة ديوانهم وجمل أسمائهم، ويعلموا الوقت الذي يأخذون فيه، فينقطع الاستبطاء والشكوى؛ فإن الكلمة الواحدة تخرج من أحدهم في ذلك أهلٌ أن تستعظم، وإن باب ذلك جديرٌ أن يُحسم مع أن أمير المؤمنين قد علم كثرة أرزاقهم، وكثرة المال الذي يخرج لهم، وأن هذا الخراج إن يكن رائجاً لغلاء السعر، فإنه لابد من الكساد والكسر، وأن لكل شيء درة وغزارة، وإنما درور خراج العراق بارتفاع الأسعار، وإنما يحتاج الجند اليوم إلى ما يحتاجون إليه من كثرة الرزق لغلاء السعر. فمن حسن التقدير، إن شاء الله، ألا يدخل على الأرض ضررٌ، ولا بيتِ المال نصانٌ من قبل الرحمن، إلا دخل ذلك عليهم في أرزاقهم. مع أنه ليس عليهم في ذلك نقصان؛ لأنهم يشترون بالقليل مثل ما كانوا يشترون بالكثير فأقول: لو أن أمير المؤمنين خلى[26] شيئاً من الرزق، فيجعل بعضه طعاماً، ويجعل بعضه علفاً، وأعطوه بأعيانه، فإن قومت لهم قيمته فخرج ما خرج على حسابة[27] قيمة الطعام والعلف، لم يكن في أرزاقهم لذلك نقصانٌ عاجلٌ يستنكرونه، وكان ذلك مدرجة لثباتهم في نزالهم على العدو، وإنصاف بيت المال من أنفسهم فيما يستنبطون، مع أنه إن زاد السعر أخذوا بحصتهم من فضل ذلك.

ومن جماع الأمر وقوامه، بإذن الله، أن لا يخفى على أمير المؤمنين شيءٌ من أخبارهم وحالاتهم وباطن أمرهم بخراسان والعسكر والأطراف، وأن يحتقر في ذلك النفقة، ولا يستعين فيه إلا بالثقات النُّصّاح، فإن ترك ذلك وأشباهه أحقٌ بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة، فتصير مغبته للجهالة والكذب.

ومما يُذكَّر به أمير المؤمنين، أمتع الله به، أمر هذين المصرين[28]، فإنهم بعد أهل خراسان أقرب الناس إلى أن يكونوا شيعته وحقيبته[29]، مع اختلاطهم بأهل خراسان، وأنهم منهم عامتهم، وإنما ينظر أمير المؤمنين منهم .... [30] صدق، ولرابطتهم، وما أراد من أمورهم معرفته استعان أهل خراسان على ذلك من أمرهم، مع الذي في ذلك من خبال[31] الأمر واختلاط الناس بالناس: العرب بالعجم، وأهل خراسان بالمصرين.

إن في أهل العراق يا أمير المؤمنين من الفقه والعفاف والألباب والألسنة شيئاً لا يكاد يُشك أنه ليس في جميع من سواهم من أهل القبلة مثله ولا مثل نصفه، فلو أرادَ.

فأما اختلاف الأحكام، إما شيءٌ مأثورٌ عن السلف غير مجمع عليه، يدبره قوم على وجه ويدبره آخرون على آخر، فينظر فيه إلى أحق الفريقين بالتصديق، وأشبه الأمرين بالعدل؛ وإما رأيٌ أجراهُ أهله على القياس فاختلف وانتشر، بغلطٍ في أل المقايسة، وابتداءِ أمرٍ على غير مثاله. وإما لطول ملازمته القياس؛ فإن من أراد أن يلزم القياس ولا يفارقه أبداً في أمر الدين والحكم، وقع في الورطات، ومضى على الشُبهاتِ، وغمض على القبيح الذي يعرفه ويبصره، فأبى أن يتركه كراهة ترك القياس.

---

26 - خلى، أي انتقص واقتطع.

27 - الحسابة: الحساب.

28 - البصرة والكوفة.

29 - أي خاصته وموضع سره.

30 - كان يجب أن يكون الكلام أوضح حتى يفهم ... ولكن سقوط بعض الألفاظ حال دون الوضوح.

31 - خبال الأمر: اضطرابه واختلاطه.

وإنما القياس دليل يستدل به على المحاسن، فإذا كان ما يقود إليه حسناً معروفاً أخذ به، وإذا قاد إلى القبيح المستنكر ترك؛ لأن المبتغى ليس عين القياس يبغي، ولكن محاسن الأمور ومعروفها وما ألحق الحقَّ بأهله. ولو أن شيئاً مستقيماً على الناس ومنقاداً حيث قيد لكان الصدق هو ذلك، ولا يعتبر بالمقاييس، فإنه لو أراد أن يقوده الصدق لم ينقد له؛ وذلك أن رجلاً لو قال: أتأمرني أن أصدق فلا أكذب كذبةً أبداً؟ لكان جوابه أن تقول: نعم. ثم لو التمس منه قول ذلك، فقال: أأصدق في كذا وكذا؟ حتى تبلغ به أن يقول الصدق في رجلٍ هاربٍ استدلَّه عليه طالبٌ ليظلمه فيقتله، لكسر عليه قياسه، وكان الرأي له أن يترك ذلك وينصرف إلى المجمع عليه المعروف المستحسن.

ومما يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام، فإنهم أشد الناس مؤونة وأخوفهم عداوة وفائقة[32]، وليس يؤاخذهم أمير المؤمنين بالعداوةِ ولا يطمع منهم في الاستجماع على المودة. فمن الرأي في أمرهم أن يختص أمير المؤمنين منهم خاصة ممن يرجو عنده صلاحاً، أو يعرف منه نصيحة أو وفاءً، فإن أولئك لا يلبثونَ أن ينفصلوا عن أصحابهم في الرأي والهوى، ويدخلوا فيما حملوا عليه من أمرهم، فقد رأينا أشباه أولئك من أهل العراق الذين استدخلهم أهلُ الشام. ولكن أخذ في أمر أهل الشام على القِصاص: حُرموا كما كانوا يَحرمون الناس، وجُعِلَ فيئهم إلى غيرهم كما كان فيءُ غيرهم إليهم، ونُحُّوا عن المنابر والمجالس والأعمال، كما كانوا يُنحُّونَ عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع، ومُنِعتْ منهم المرافق كما كانوا يَمنَعُونَ الناس أن ينالوا معهم أكلةً من الطعام الذي يصنعه أمراؤهم للعامَّة.

فإن رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها، فلم يُعارض ما عابَ، ولم يُمثِّل ما سخط، كان العدل أن يقتصر بهم على فيئهم، فيجعل ما خرج من كُور الشام فضلاً من النفقات، وما خرج من مصر فضلاً من حقوق أهل المدينة ومكة[33]، بأن يجعل أمير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم، أو يزيد أو ينقص، غير أنه يأخذ أهل القوة والغناء بخفة المؤنة والخفة في الطاعة، ولا يُفضِّلُ أحداً منهم على أحدٍ إلا على خاصة معلومة. ويكون الديوان كالغرض المستأنف. ويأمر لكل جندٍ من أجناد الشام[34] بعُدةٍ من العيالة[35] يقترعون عليها، ويُسوِّي بينهم فيما لم يكونوا أسوةً فيه فيما مان من عيالتهم[36]، فلا يُضيَّعُ أحدٌ من المسلمين.

وأما ما يتخوفُ المتخوفون من نزواتهم، فلعمري لئن أخذوا بالحق- ولم يؤخذوا به- إنهم لخلقاء ألا تكون لهم نزوات ونزقات. ولكنا على مثل اليقين، بحمد الله، من أنهم لم يشغلوا بذلك إلا أنفسهم، وأن الدائرة[37] لأمير المؤمنين عليهم، آخِرِ الدهر، إن شاء الله؛ فإنه لم يخرج الملك من قومٍ إلا بقيت فيهم يتوثبون بها، ثم كان ذلك التوثب هو سبب استئصالهم وتدويخهم.

ومما يُذكَّر به أمير المؤمنين أمرُ أصحابه فإن، من أولى أمر الوالي بالتثبت والتخيُّر، أمر أصحابه الذين هم فناؤه، وزينة مجلسه، وألسنة رعيته، والأعوان على رأيهِ، ومواضع كرامته، والخاصَّة من عامته؛ فإن أمر هذه الصحابة قد عمل فيه من كان وليه من الوزراء ولكتاب قبل خلافة أمير المؤمنين عملاً قبيحاً مُفرط القبح، مُفسداً للحسب والأدب والسياسة، داعياً للأشرار طارداً للأخيار، فصارت صحبة الخليفة أمراً سخيفاً، فطمع فيه الأوغاد، وتزهَّد إليه

---

32 - البائقة: الغدر.

33 - أي يجعل ما خرج زائداً من كور الشام في النفقات، وما خرج زائداً من كور مصر في حقول أهل المدينة ومكة.

34 - أجناد الشام: خمس كور: دمشق وحمص وقنسرين والأردن وفلسطين. وهذه الخمسة أماكن كل واحد منها يسمى جنداً؛ أي المقيمين بها من المسلمين المقاتلين.

35 - العيالة: الكفاية من المؤن، يقال: علة عيالة، إذا كفا، وانفق عليه.

36 - أي يسوي بينهم فيما يكفيهم ويعولهم.

37 - الدائرة: الغلبة.

من كان يرغبُ فيما دونه، حتى إذا لقينا أبا العباس- رحمة الله عليه- وكنت في ناسٍ من صلحاء أهل البصرة ووجوههم، فكنت في عصابةٍ منهم أبوا أن يأتوه، فمنهم من تغيب فلم يقدم، ومنهم من هرب بعد قدومه اختياراً للمعصية على سوء الموضع، لا يعتذرون في ذلك إلا بضياع المكتب والدعوة والمدخل[38]، يقولون: هذه منزلة كان من هو أشرف من أبنائنا يرغبون فيما هو دونها عند من هو أصغرُ من أمراء ولاتنا اليوم، ولكنها قد كانت مكرمة وحسباً، إذ الناس ينظرون ويسأل عنهم. فأما اليوم، ونحن نرى فلاناً وفلاناً يُنفر بأسمائهم، على غير قديم سلف، ولا بلاءٍ حدث، فمن يرغب فيما ها هنا يا أمير المؤمنين! أكرمك الله، إلا أن يصير العدل كله إلى تقوى الله عز وجل، وإنزال الأمور منازلها؛ فإن الأول قال:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ::::: ولا سراة إذا جُهَّالهُم سادوا

وقـــال:

هم سوَّدوا نصراً، وكلُّ قبيلةٍ

يُبيِّنُ عن أحلامِها من يسودها

[38] - المكتب، أي الكتابة. ويريد بالدعوة: الأذن. والمدخل، أي الدخول على الخليفة.

وإن أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيها مظالم. أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول: ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة، ممن لا ينتهي إلى أدبٍ ذي نباهةٍ، ولا حسبٍ معروف، ثم هو مسخوط الرأي، مشهور بالفجور في أهل مصره، قعد غبر عامة دهره صانعاً يعمل بيده ولا يعتدُّ مع ذلك ببلاء ولا غناءٍ، إلا أنَّهُ مكَّنهُ من الأمر صاغ[39] ، فانتهى إلى حيثُ أحبَّ، فصار يُؤذنُ له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب، ويُجري عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثيرٍ من بني هاشم وغيرهم من سروات قريش ويُخرج له من المعونة على نحو ذلك. لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم، ولا فقهٌ في دين، ولا بلاءٌ في مجاهدةِ عدوٍّ معروفةٍ ماضيةٍ شائعة قديمة، ولا غناءٌ حديث، ولا حاجة إليه في شيءٍ من الأشياء ولا عُدَّة يستعدُّ بها، وليس بفارسٍ ولا خطيبٍ ولا علَّامةٍ، إلا أنه خدم كاتباً أو حاجباً، فأخبره أن الدِّين لا يقوم إلا به، حتى كتب كيف شاء، ودخل حيث شاء.

وأما المظلمة التي دخلت في ذلك فعظيمة، قد خصَّت قريشاً، وعمَّت كثيراً من الناس، وأدخلت على الأحساب والمروءات محنةً شديدة وضياعاً كثيراً؛ فإن في إذن الخليفة في المدخل عليه والمجلس عنده، وما يجري على صحابته من الرزق والمعونة، وتفضيل بعضهم على بعضٍ في ذلك، حكماً عظيماً على الناس في أنسابهم وأخطارهم وبلاءِ أهل البلاء منهم. وليس ذلك كخواص المعروف ولطيف المنازل أو الأعمال يختص بها المولى من أحب، ولكنه بابٌ من القضاء جسيم عامٌ، يُقضي فيه للماضين من أهل السوابق، الباقين من أهل المآثر، وأهل البلاء والغناء، بالعدل أو بما يُخالُ فيه عليهم، فإن أحقَّ المظالم بتعجيل الرفع والتغيير ما كان ضرُّهُ عائباً، وكان للسلطان سائناً، ثم لم يكن في رفعه مؤونة ولا شغبٌ ولا توغيرُ لصدورٍ عامَّة، ولا للقسوة والإضرار سبب.

ولصحابة أمير المؤمنين – أكرمه الله – مزيةٌ وفضل وهي كرمة سنية، حريَّة أن تكون شرفاً لأهلها، وحسباً لأعقابهم، وحقيقةً أن تصان وتحظر، ولا يكون فيها إلا رجلٌ بد ربخصلة من الخصال، أو رجلٌ له عند أمير المؤمنين خاصة بقرابةٍ أو بلاءٍ، أو رجلٌ يكون شرفه ورأيه وعمله أهلاً لمجلس أمير المؤمنين وحديثه ومشورته، أو صاحب نجدةٍ يُعرفُ بها ويستعد لها يجمع مع نجدته حسباً وعفافاً، فيرفع من الجندِ إلى الصحابة، أو رجلٌ فقيه مُصلح يوضع بين أظهُر الناس لينتفعوا بصلاحهِ وفقههِ، أو رجلٌ شريفٌ لا يُفسد نفسه أو غيرها، فأما من يتوسل بالشفاعات، فإنه يكتفي أو يُكتفى له بالمعروف والبر فيما لا يُهجِّنُ رأياً، ولا يُزيلُ أمراً عن مرتبته. ثم تكونُ تلك الصحابة المخلصة على منازلها ومداخلها، لا يكون للكاتب فيها أمر في رفع رزقٍ ولا وضعهِ، ولا للحاجب في تقديم إذنٍ ولا تأخيره.

ومما يذكر به أميرُ المؤمنين، أمرُ فتيان أهل بيته وبني أبيه وبني علي وبني العباس؛ فإن فيهم رجالاً لو مُتِّعوا بجسام الأمور والأعمال سدُّوا وجوهاً، وكانوا عُدَّة لأخرى.

وما يذكَّر به أمير المؤمنين أمر الأرض والخراج، فإن أجسم ذلك وأعظمه خطراً، وأشده مؤونةً، وأقربه من الضياع، ما بين سهله وجبله، ليس له تفسيرٌ على الرساتيق[40] والقرى، فليس للعمال أمر ينتهون إليه، ويحاسبون عليه، ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الأرض بعدما يتأنقون لها في العمارة، ويرجون لها فضل ما تعمل أيديهم؛ فسيرة العمال فيهم إحدى ثنتين: إما رجلٌ أخذ بالخرق والعنف من حيث وجد، وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد؛ وإما رجلٌ صاحب مساحة يستخرج ممن زرع، ويترك من لم يزرع، فيغرمُ من عمَّر ويسلم من أخرب. مع أن أصول الوظائف على الكُور لم يكن لها ثبتٌ ولا علمٌ، وليس من كورةٍ إلا وقد غُيِّرت وظيفتها مراراً، فخفيت وظائف بعضها، وبقيت وظائف بعض. فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والأرضين وظائف معلومة، وتدوين

---

39 - صاغ إليه: مال.

40 - الرساتيق: النواخي؛ الواحد رستاق (بالضم) معرب.

الدواوين بذلك، وإثبات الأصول، حتى لا يؤخذ رجلٌ إلا بوظيفة قد عرفها وضمنها، ولا يجتهد في عمارة إلا كان له فضلها ونفعها، لرجنا أن يكون في ذلك صلاحٌ للرعية، وعِمارة للإرض، وحسمٌ لأبواب الخيانة وغشمِ[41] العمال.
وهذا رأي مؤونته شديدة، ورجاله قليلٌ، ونفعه متأخرٌ، وليس بعد هذا في أمر الخراج إلا رأيٌ قد رأينا أمير المؤمنين أخذ به، ولم نره من أحد قبله، من تخيُّر العمال وتفقدهم، والاستعتاب لهم، والاستبدال بهم.
ومما يُذكَّرُ به أمير المؤمنين جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك، أن يكون من رأي أمير المؤمنين، إذا سخت نفسه عن أموالها من الصدقات وغيرها، أن يختار لولايتها الخيار من أهل بيته وغيرهم؛ لأن ذلك من تمام السيرة العادلة، والكلمة الحسنة التي قد رزق الله أمير المؤمنين وأكرمه بها من الرأي الذي هو بإذن الله حمىً ونظامٌ لهذه الأمور كلها في الأمصار لأجناد والثغور والكور.
إن بالناس من الاستجراح[42] والفساد ما قد علم أميرُ المؤمنين، وبهم من الحاجة إلى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو أشدُّ من حاجتهم إلى أقواتهم التي يعيشون بها. وأهل كلِّ مصر وجُندٍ أو ثغرٍ فقراءُ إلى أن يكون لهم من أهل الفقه والسنة والسير والنصيحة مؤدون مقومون، يُذكِّرون، ويُبصِّرون الخطأ[43]، ويعظون عن الجهل، ويمنعون عند البدع، ويُحذِّرون الفتن، ويتفقَّدون أمور عامة من هو بين أظهرهم حتى لا يخفى عليهم منها مُهمٌّ، ثمَّ يستصلِحونَ ذلك، ويعالجون ما استنكروا منه بالرأي والرفق والنصح، ويرفعون ما أعياهم إلى ما يرجون قوته عليهم، مأمونين على سير ذلك وتحصينه، بُصراءَ بالرأي حين يبدو، وأطباء باستئصاله قبل أن يتمكن.
وفي كل قومٍ خواصُّ رجالٍ عندهم على هذا معونة إذا صنعوا لذلك، وتلطَّف لهم وأعينوا على رأيهم، وقوَّوا على معاشهم، ببعض ما يُفرِّغهم لذلك، ويُبسِّطهم له. وخطرُ هذا جسيم في أمرين: أحدهما، رجوع أهل الفساد إلى الصلاح، وأهل الفرقة إلى الألفة؛ والأمر الآخر أن لا يتحرك متحرك في أمرٍ من أمور العامَّة إلا وعينٌ ناصحة ترمُقهُ، ولا يهمِس هامِس إلا وأذنٌ شفيقة تصيخ نحوه، وإذا كان ذلك لا يقدر أهل الفساد على تربص الأمور وتلقيحها، وإذا لم تلقَّح كان نتاجها بإذن الله مأموناً.
وقد علمنا علماً لا يخالطه شكٌ أن عامةً قطُّ لم تصلح من قبل أنفسها، وأنها لم يأتها الصلاح إلا من قبل إمامها؛ وذلك لأن عدد الناس في ضعفتهم[44] وجُهَّالهم الذين لا يستغنون برأي أنفسهم، ولا يحملون العلم، ولا يتقدمون في الأمور. فإذا جعل الله فيهم خواصَّ من أهل الدين والعقول، ينظرون إليهم ويسمعون منهم، واهتمت خواصهم بأمور عوامِهم، وأقبلوا عليها بجدٍ ونصح ومثالبرةٍ وقوة، جعل الله صلاحاً لجماعتهم، وسبباً لأهل الصلاح من خواصهم، وزيادة فيما أنعم الله به عليهم وبلاغاً إلى الخير كله.
وحاجة الخواص إلى الإمام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة إلى خواصهم وأعظم من ذلك. فبالإمام يُصلح الله أمرهم، ويكبتُ أهل الطعن عليهم، ويجمع رأيهم وكلمتهم، ويبين لهم عند العامة منزلتهم. ويجعل لهم الحجة والأيد في المقال على من نكَّب عن سبيل حقهم.
فلما رأينا هذه الأمور ينظم بعضها ببعض، وعرفنا من أمر أمير المؤمنين ما بمثله جمع الله خواصَّ المسلمين على الرغبة في حسن المعاونة والمؤازرة والسعي في صلاح عامتهم، طمعنا لهم في ذلك، يا أمير المؤمنين، وطمعنا فيه لعامتهم، ورجونا أن لا يعمل بهذا الأمر أحد إلا رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه؛ فإن الأمر إذا أعان على نفسه جعل للقائل مقالاً، وهيأ للساعي نجاحاً. ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ وهو ربُّ الخلق، وولي الأمر، يقضي في أمورهم، ويُدبِّرُ أمرهم بقدرةٍ عزيزة، وعلمٍ سابق. فسأله أن يعزم لأمير المؤمنين على المراشد، ويُحصِّنهُ بالحفظ والثبات.
والسلام، ولله الحمدُ والشكر.

---

41 - الغشم: الظلم.

42 - الاستجراح: الفساد والعيب.

43 - يبصرون الخطأ، أي يعرفونه ويوضحونه.

44 - الضعفة والضعاف: جمع ضعيف.

-انظر رسالة الصحابة في كتاب:- ابن المقفع. المجموعة الكاملة: الأدب الصغير، الكبير، رسالة الصحابة، كليلة ودمنه. دار العام للجميع . (بدون). صـ 160-196.

5- رسالة الصحابة.م. س. صـ173.

6- حميد دليمي. م. س. صـ 37.

7- جعفر البياتي. مفهوم الدولة عند الطرطوشي وابن خلدون دار المعارف للطباعة والنشر – سوسة – تونس. (سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة)، طبعة أولى: 1999م، صـ 28-29.

8- حميد دليمي. م س. صـ 29.

9- عبدالمجيد رزقي وآخرون (مطبوع غير منشور). تموقع الفقهاء من السلطة، في مادة الفكر السياسي الإسلامي، السنة الثانية، دبلوم الدراسات العليا، قانون عام. جامعة الحسن الثاني: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية. عين الشق- الدار البيضاء. السنة الجامعة: 1997م – 1998م. صـ 3.

10- عبدالرحمن ابن خلدون. المقدمة. الملكية العصرية، بيروت. طبعة 2008م. صـ 178.

11- رسالة الصحابة. صـ 165.

12- مضمون ذلك في رسالة الصحابة. ن.م.س. صـ 165-166.

13- ن. م. س. صـ 195.

14- ن. م. س.

15- ن.م.س. صـ 195.

16- ن.م.س.

17- ن.م.س. صـ 164.

18- ن.م.س. صـ 185.

19- ن.م.س. صـ 164.

20- ن.م.س.

21- ن.م.س. صـ 163-164.

22- ن.م.س. صـ 163.

23- ن.م.س. صـ 161.

24- يتخذ دار الإسلام عند المفكر جمال حمدان (معنى حقيقي – جداً هو هلال الإسلام للتعبير عن العالم الإسلامي المشترك بروابط القيم والعادات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والتاريخية.

-انظـر:-

جمال حمدان، العالم الإسلامي المعاصر. القاهرة. عالم الكتب، طبعة 1996م. صـ 20-21-49.
وفي هذا السياق يحدد ابن المقفع منهج ديار المسلمين في اختيار الحاكم لمعاونيه وأصحابه وكذلك يرسم سياساته الإصلاحية للسلطان ليشمل سيادته كل السكان الساكنين في دار الإسلام:(أمر الجند من أهل خراسان ... وأن في أهل العراق... وما يذكر أمير المؤمنين جزيرة العرب والحجاز واليمن واليمامة.. وما يذكر به أمير المؤمنين أهل الشام ... وغيرها من الأمصار والنواحي).

25- رسالة الصحابة. م س. صـ 172.
26- ن.م.س. صـ 185.
27- ن.م.س. صـ 196- 170.
28- ن.م.س. صـ 187.
29- ن.م.س. صـ 188.
30- ن.م.س. صـ 172.
31- ن.م.س. صـ 180.
32- ن.م.س.
33- ن.م.س. صـ 193.
34- ن.م.س. صـ 192.
35- ن.م.س. صـ 180.
36- ن.م.س. صـ 180.
37- المجلة العربية لحقوق الإنسان. تونس، المعهد العربي لحقوق الإنسان، العدد: (40) سنة 1997م، صـ 40.
38- ن.م.س.
39- رسالة الصحابة . م. س. صـ 167-168.
40- ن.م.س. صـ 170.
41- ن.م.س. صـ 184-185.
42- ن.م.س. صـ 168.
43- ن.م.س.
44- ن.م.س. صـ 178.
46 - ن.م.س. صـ 177.
47 - ن.م.س. صـ 176.
48 - ن.م.س. صـ 193.
49 - ن.م.س. صـ 193-194.
50 - دارت معاني الصورة في الاستعمال العربي إلى الشكل والنوع والصوت والتصور على التشكل والتوهم وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، فقد جاء في القاموس المحيط: الصورة: بالضم: والشكل: صور وصور كعنب، وصور، والصير كالكيس، وقد صور فتصور وتستعمل الصورة: بمعنى النوع والصفة.
وجاء في لسان العرب (الصورة في الشكل) والجمع صور وصور وقد صورة فتصور).
وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير التماثيل.
قال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا، أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته.

-انظر: محمد بن محمد حزام العديل ، التصوير الفني في سورة طه، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جمهورية السودان. جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية – كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، ص5.

51 - ابن المقفع. كليلة ودمنه. م.س. ص 85.

52 - حميد دليمي. م. س. ص 121.